جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أسرة آل "ابن صغير " ودورها الحضاري في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

The Al Ibn Sughayr Family and Its Cultural Role in the Mamluk Era. (648-923 AH / 1250-1517 AD)

إعداد

د. حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية بتفهنا الأشراف

جامعة الأزهر

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الثالث (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

أسرة آل "ابن صغير " ودورها الحضاري في العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

قسم التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية بتفهنا الأشراف- جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني : *hananelsharkawy1547.el@azhar.edu.eg*

الملخص:

يُسلّط هذا البحث الضوء على أسرة طبية في مصر في العصر المملوكي ودورها الطبي والحضاري وهي أسرة آل "ابن صغير" إحدى الأسر التي عُرفت بإسهاماتها العلمية والعملية في مجال الطب ممارسةً وتعليمًا وتأليفًا. تميّزت أسرة ابن صغير بمكانة مرموقة في تاريخ الطب خلال العصر المملوكي، حيث أنجبت عددًا من الأطباء الذين ترأسوا الطب في بيمارستان القاهرة، وكان لهم دور فعّال في الحياة الطبية والعلمية آنذاك. وعلى الرغم من قلّة المؤلفات الطبية لأطباء بني صغير، إلا أن شهرة العائلة تكمن في أنها قدمت أطباء عالجوا سلاطين المماليك وأمراءهم، ومن أبرز الشواهد على مكانة هذه الأسرة، ما نُقل عن أن أحد أفرادها وهو علاء الدين ابن صغير قد تجاوزت شهرته وذاع صيته حتى استُدعي إلى الباب العالي في القسطنطينية لعلاج السلطان العثماني بايزيد بن مراد، في دلالة على بلوغ صيت الأسرة الآفاق، الأمر الذي يعكس مكانة الأسرة بين النخب الطبية.

الكلمات المفتاحية: الأسر الطبية، ابن صغير ،علم الطب ،رئاسة الطب ،العصر المملوكي .

The Al Ibn Sughayr Family and Its Cultural Role in the Mamluk Era. (648-923 AH / 1250-1517 AD)

Hanan Mohamed Abdel Tawab El SharkawyDepartment of Islamic History, Faculty of Humanities at Tuhna Al-Ashraf - Al-Azhar University

Email: *hananelsharkawy1547.el@azhar.edu.eg*

Abstract:

This research sheds light on a prominent medical family in Mamluk-era Egypt and its medical and cultural contributions — the Al Ibn Sughayr family — one of the families known for their scholarly and practical contributions to the field of medicine through clinical practice, education, and authorship.

The Ibn Saghir family held a prominent position in the history of medicine during the Mamluk era, producing a number of physicians who presided over the medical profession at the Cairo Hospital and played an active role in the medical and scientific life of the time. Despite the paucity of medical writings by the Ibn Saghir physicians, the family's fame lies in its provision of physicians who treated Mamluk sultans and princes .and among the most prominent evidence of the status of this family, is what was reported about one of its members, Alaeddin bin Saghir, whose fame and reputation spread to the point that he was summoned to the Sublime Porte in Constantinople to treat the Ottoman Sultan Bayezid bin Murad, indicating that the family's fame reached the horizons, which reflects the family's status among the medical elite.

Keywords: *Medical Families , Ibn Saghir , Medical Science , Presidency Of Medicine , Mamluk Era.*

المقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. والحمد لله الذي لا يُؤَدَّى شُكْرُ نِعْمةٍ من نِعَمِهِ إلا بِنِعْمةٍ منه تُوجِبُ على مُؤَدِّي مَاضِي نِعَمِهِ بِأَدَائِها نعمةً حَادِثَةً يَجِبُ عليه شُكْرُه بها.

ولا يَبْلُغُ الواصفون كُنْهَ عَظَمَتِه الذي هو كما وَصَفَ نَفْسَهُ، وفوق ما يَصِفُهُ به خَلْقُه. أحمده حمداً كما يَنبغي لكرمِ وَجْهِهِ وعِزِّ جَلاله.

وبعد،،،

شكّل العصر المملوكي، الذي امتدّ قرابة ثلاثة قرون (٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، مرحلة من مراحل النهوض الحضاري في الديار المصرية والشامية، حيث ازدهرت فيه العلوم، وازدان المجتمع بطبقة من العلماء والفقهاء والأطباء الذين تكاملت أدوارهم في خدمة المجتمع والدولة على حد سواء، ونهضوا بمؤسسات الدولة، وتركوا آثارًا علمية باقية. وفي رحاب هذا العصر، لم يكن الطب علمًا نظريًّا فحسب، بل حرفة شريفة وصناعة ذات شأن، تُمارس في البيمارستانات والمدارس الطبية، وتُتناقل بين المشتغلين بها وفق أُطر تربوية ومهنية صارمة.

وفي هذا السياق، شهدت مصر آنذاك ظهور بعض "الأسر الطبية"، وهي تلك الأسر التي تعاقبت فيها صناعة الطب من الآباء إلى الأبناء بمعنى أنها مارست الطب عبر أجيال متعاقبة، واحتفظت بالمعرفة والخبرة الطبية ضمن إطار عائلي مترابط، فحفظت بذلك إرثًا علميًّا متينًا، وأدّت دورًا جوهريًّا في استمرار المعرفة الطبية، وتوطينها في البيئة الإسلامية.

ومن هذه الأسر التي لمع نجمها في مصر عصر المماليك، أسرة "ابن صغير" كأنموذج جدير بالدراسة، لما امتازت به من شهرة علمية ومكانة مهنية في البيئة الطبية المملوكية. فقد انخرط بعض أفرادها في ممارسة الطب في البيمارستانات،

وأسهم بعضهم في تعليم الطلاب وتأليف الكتب، ولذا فقد استطاعت هذه الأسرة ترك بصمة واضحة من خلال أبنائها الذين توارثوا الطب جيلا بعد جيل، وأسهموا في النهضة العلمية في مصر المملوكية.

ولذا يسعى البحث إلى تتبّع الجذور الاجتماعية والعلمية لهذه الأسرة، واستجلاء دورها في الحياة الطبية خلال تلك الحقبة، سواء من حيث مزاولة المهنة، أو التأليف، أو العمل في البيمارستانات، وعلاقتها بالمؤسسات الصحية والتعليمية، وكذلك علاقتها بالسلطة الحاكمة.

وتكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على جانب قلّما تناولته الدراسات التاريخية، وهو دور الأسرة كوحدة فاعلة في نقل وتطوير العلوم العقلية، وفي مقدّمتها الطب، بما يعكس استمرارية المسار العلمي في الحضارة الإسلامية. وهذا ما يجعله إضافة جديدة في حقل تاريخ الطب الإسلامي.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد التمهيد إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول يتضمن لمحة عن الطب في العصر المملوكي، فيما يتطرق المبحث الثاني إلى النشأة والتكوين العلمي للأسرة، أما المبحث الثالث فاختص بالدور الحضاري والعلمي لأسرة ابن صغير. فكانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة:

تمهيد: نشأة الأسر الطبية وتكوينها في المجتمع الإسلامي.

المبحث الأول: لمحة عن الطب في العصر المملوكي.

المبحث الثاني: النشأة والتكوين العلمي لأسرة ابن صغير.

- أصل الأسرة وجذورها.
- أهم أعلام أسرة ابن صغير الطبية.

المبحث الثالث: الدور الحضاري والعلمي لأسرة ابن صغير.

- ❋ **أولًا: الدور السياسي لأطباء الأسرة (علاقة أسرة ابن صغير بالسلطة وتولّي أفرادها المناصب الطبية الرفيعة)**
- ❋ **ثانيًا: الدور الثقافي والعلمي لأطباء الأسرة (المعرفة، والتعليم، والتوريث المهني).**
- ❋ **ثالثًا: الدور الاجتماعي (حضور الأسرة وتأثيرها في المجتمع المملوكي).**
- ❋ **رابعًا: أسرة ابن صغير في المنظومة الإدارية.**
- ❋ **خامسًا: الأعمال الخيرية لأسرة ابن صغير.**

وأنهيت البحث بخاتمة بها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ويليها قائمة بمصادر ومراجع الدراسة. **والله من وراء القصد،، وهو يهدي السبيل.**

تمهيد:

نشأة الأسر الطبية وتكوينها في المجتمع الإسلامي

تُعد الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ومن خلالها يتكوّن الوعي الفردي، ويتشكّل الانتماء، وتنشأ القيم التي تؤثر في تعامل الفرد مع محيطه الأوسع. فإذا نشأ الفرد في أسرة علمية، فمن المرجّح أن تتشكّل ميوله واتجاهاته في إطار علمي، بحكم ما يتلقّاه من تأثير مباشر في بيئة تتبنّى المعرفة كأسلوب حياة.

ويُعزى هذا التوجه أحيانًا إلى عامل الوراثة، الذي لا يقتصر على انتقال الصفات الجسدية فحسب، بل يمتد ليشمل السمات الذهنية والقدرات العقلية، كالذكاء، ورجاحة العقل، وسرعة الحفظ، والقدرة على التحليل. وهذه العوامل الوراثية، مقرونة بالتنشئة العلمية المبكرة، تهيّئ الفرد للاستمرار في المسار العلمي الذي اختطّه من سبقوه. (١)

وعند تتبع مسيرة العلم في الحضارة الإسلامية، يتبيّن أن ظاهرة الأسر العلمية عامة والتي منها الأسر الطبية كانت إحدى الركائز الأساسية في بناء النهضة المعرفية. فقد ظهرت أسر ارتبط أفرادها بعلاقات قرابة ودم، قبل أن يجمعهم رابط العلم والمهنة، وكانت تلك العلاقات من أبرز أسباب نبوغهم وتماسكهم واستمرارية تأثيرهم العلمي عبر الأجيال(٢).

ولا يقتصر مفهوم الأسرة العلمية على علاقة الأب بالابن أو الجد بالحفيد، بل يمتد إلى شبكات أوسع من القرابة الممتدة، تشكّلت عبر عقود، بل قرون أحيانًا، ضمن

---

(١) بسام إدريس الجبلي: محاولة دراسة أسباب ظهور الأسر العلمية مع اشارات للأسر الموصلية القديمة، مجلة آداب الرافدين، مؤتمر كلية الآداب العلمي الثالث، العدد ١/٤٤، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٤٦٨.

(٢) خالد حربي: الأسر العلمية ظاهرة فريده في الحضارة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٦.

أسر توارثت مهنة أو علمًا بعينه، وشكّلت بذلك وحدات ثقافية متكاملة داخل المجتمع. وقد اتفقت كتب التراجم على أن الأسرة العلمية تُعرّف بأنها: الأسرة التي يتناقل أفرادها ما اكتسبته العائلة من إرث معرفي ومكانة علمية وثقافية أباً عن جد، وجيلًا بعد جيل، بحيث يتحوّل العلم إلى هوية وثقافة أصيلة داخل كيان العائلة[١].

شجّع الإسلام منذ بواكيره الأولى على طلب العلم والعمل به، وجعل من العلوم النافعة – وفي مقدّمتها الطب – سبيلًا لتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ النفس، وتعزيز العمران البشري. وقد أقبل الناس في القرون الإسلامية الأولى على العلم، لا بوصفه وسيلة للتكسّب فحسب، بل باعتباره فضيلة وسلوكًا تعبّديًا، فكان كثير من العلماء والأطباء يُمارسون العلم إلى جانب مهنهم الأصلية، دون أن يرتبط ذلك بوظائف رسمية، ومع تطوّر الدولة الإسلامية، بدأت تظهر ملامح ظاهرة الأسر العلمية ومنها الأسر الطبية المتخصّصة، وهي تلك الأسر التي احترفت صناعة الطب جيلًا بعد جيل. ومع توسّع البيمارستانات، وتزايد الحاجة إلى الكوادر المؤهلة، أصبحت مهنة الطب واحدة من أبرز المهن التي تُورّث داخل العائلات، تمامًا كما تُورّث القضاء أو الفتوى[٢].

---

(١) زيد علي الفضيل: الأسر العلمية في الجزيرة العربية بين سندان التاريخ ومطرقة العصر، مقال بجريدة الشرق الأوسط، العدد٩٧٢٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١٢٣، ١٢٤. مروه موسى السيد سالم: الأُسر العلمية ببلاد الشام ومصر ودورها الحضاري خلال العصر المملوكي(بنو جماعة – والبُلقيني) نموذجاً(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٨م، ص٣-٤.

وقد كانت هناك بعض العوامل التي أدت إلى ظهور الأسر العلمية في المجتمعات الإسلامية على مدار عصورها التاريخية والتي ساعدت على ترسيخ حضورها وتأثيرها لقرون، ومنها أولا: ميل العلماء إلى توريث العلم لمن يحيونه: ولا أحب للعالم من ولده خاصةً وأن العلم يُعدّ ميراثًا نبويًا، لقوله (ﷺ):" أن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنباء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[١]، ولقوله ﷻ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٢]. ومن هنا نبتت الأسر العلمية ومنها الطبية التي توارث أبناؤها العلم، ذلك الميراث النبوي العظيم الذي لا يُستغنى عنه لإقامة المجتمعات. وثانيًا لعِبَ التنافس العلمي بين الأسر دورًا في تعزيز هذه الظاهرة، حيث حرصت كل أسرة على تكوين أبنائها وإسماعهم العلم في صغرهم ليتفوقوا علميًّا ويستحقوا المناصب الكبرى، وقد ظهر ذلك بوضوح في العصر المملوكي من خلال حرص الأسر الطبية على نيل وظائف كبرى مثل: رئاسة الطبابة وخدمة البيمارستانات السلطانية، هذا بالإضافة إلى المكانة الاجتماعية التي يصل اليها العالم في أسرته ومجتمعه، وما يناله من احترام وتقدير وسعة حال، كل ذلك يكون دافعاً أن يميل الأبناء لا شعوريّاً للآباء ويقتدوا بهم. ومن جهة أخرى، كان

(١) أبو داود(سليمان بن الأشعث السجستاني، ت ٢٧٥هـ/٨٧٠م): سنن أبي داود، تحقيق: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، أول كتاب العلم، ص٦٨٤، ح٣٦٤١. الترمذي(محمد بن عيسي بن سوره، ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): الجامع الكبير – سنن الترمذي– تحقيق: بشار عواد معروف، ط دار العرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٦م، مج ٤، ص٤١٤، ح٢٦٨٢.

(٢) سوره: فاطر، آية: ٣٢.

للاستقرار الاقتصادي والرخاء المالي لدى بعض هذه الأسر أثر بالغ في التفرغ للعلم، ونقله للأجيال، وممارسته بوصفه رسالة(١).

وتأكيدًا على ما سبق، يُمكن القول: إن ظاهرة الأسر الطبية في العالم الإسلامي لم تكن مجرد نتاج لتوارث المهنة، بل كانت انعكاسًا لرؤية حضارية عميقة ترى في العلم ميراثًا، وفي الأسرة وعاءً حاميًا له، وهو ما جسدته أسرة مثل: آل ابن صغير التي وُفّقت في الجمع بين حب العلم، والمنافسة، والمكانة الاجتماعية.

ولقد شهد العصر المملوكي ازدهارًا ملحوظًا في العلوم التطبيقية، وعلى رأسها الطب، وبرزت فيه عدة أسر طبية لعبت أدوارًا مهمة في البيمارستانات والمدارس الطبية، وتوارثت المهنة عبر أجيال متعاقبة، مما ساهم في ترسيخ مفهوم "الأسرة الطبية المتخصصة. ومن أبرز هذه الأسر:

أسرة آل ابن المغربي: شَكّلت أسرة آل ابن المغربي واحدة من الأسر الطبية الرائدة في العصر المملوكي، واشتهرت بتولّيها رئاسة الطبابة في البيمارستان المنصوري، وهو ما يدل على اندماجها الكامل في البنية الإدارية والعلمية للدولة. كان من أبرز أعلامها الطبيب شهاب الدين أحمد المغربي، الذي تُوفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، وقد قدم إلى مصر واستوطنها، واشتهر بتفوقه في مختلف فروع العلم، لكنه تميّز بالطب على وجه الخصوص. وقد ورث هذا التفوق ابنه جمال الدين إبراهيم بن المغربي،

(١) بسام إدريس: محاولة دراسة أسباب ظهور الأسر العلمية مع إشارات للأسر الموصلية القديمة، ص٤٧٢. مروه موسى السيد سالم: الأُسر العلمية ببلاد الشام ومصر ودورها الحضاري خلال العصر المملوكي، ص٤، ٥.

الذي تقلّد رئاسة أطباء مصر والشام، فكان مثالًا على استمرار الريادة العلمية والطبية في إطار أسري، يعكس مدى تجذر هذا التقليد داخل البيئات النخبوية الطبية [١].

أسرة ابن النفيس: وهي أسرة علمية تنحدر من أصول شامية عريقة، وكانت بيئة علمية خصبة أنجبت الطبيب العبقري علاء الدين ابن النفيس[٢]، مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وأحد أبرز أعلام الطب في العصر المملوكي. تلقّى تعليمه في البيمارستان النوري بدمشق، ثم انتقل إلى القاهرة حيث بلغ ذروة مجده، فتولّى رئاسة الطبابة، وأسّس مكانة علمية مرموقة عبر مؤلفاته ونظرياته الطبية.

لقد ساهمت بيئته الأسرية والعلمية في صقل نبوغه وتشكيل رؤيته الطبية، مما جعل منه شخصية استثنائية في الفكر والعلاج. واستمر أثره في أسرته، ومنهم الطبيب صدر الدين بديع بن النفيس[٣]، ثم سار على نهجه ابن أخيه الفتح بن

---

(١) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٩، ص٦٢٠. أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية (مصر وبلاد الشام والحجاز) ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م، ط١، نور حوران للدراسات والنشر، ٢٠٢٥، ص٨٧.

(٢) ابن النفيس: هو علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي، كان رئيس الأطباء في مارستان قلاوون بالقاهرة، والمتوفي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م، وقد كان فوق اشتغاله بالطب من البارزين في العلوم الدينية واللغوية والأدبية في عصره، كتب ابن النفيس شرحا لتشريح ابن سينا. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦١٥. زكي محمد حسن: مصر والحضارة الإسلامية، مؤسسة هنداوي،٢٠١٤م، ص٣٠.

(٣) هو رئيس الأطباء صدر الدين بديع بن نفيس الطبيب التبريزي ثم البغدادي نزيل القاهرة وكان نفيس هذا يهوديّاً فأسلم، وهو عم فتح الله بن مستعصم بن نفيس الذي ولي كتابة السر في آخر دولة برقوق. توفي سنة ١٦ ربيع الأول ٧٩٧هـ/١٦ يناير ١٣٩٥م. المقريزي: السلوك لمعرفه دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، ←←←

النفيس[١]، الذي واصل المسيرة الطبية، ليُجسّد بذلك تقاليد العلم الموروث داخل العائلات الطبية في قلب الدولة المملوكية.

أسرة آل ابن صغير: تُعد من أشهر الأسر الطبية في العصر المملوكي، إذ جمعت ببراعة بين التميز العلمي في مجال الطب، والنفوذ الإداري في مؤسسات الدولة الصحية. توارث أفرادها رئاسة الطبابة جيلًا بعد جيل، وامتد تأثيرهم من ساحات العلاج إلى مواقع القرار، مما جعلهم يمثلون نموذجًا متكاملًا للأسرة العلمية المؤسِّسة، التي أسهمت في ترسيخ تقاليد المهنة، وربطت بين العلم والخدمة العامة في أرقى صورها[٢].

→→→

بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٥، ص٣٧٨. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، لمعرفه دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٤٩٧.

(١) فتح الله بن معتصم بن نفيس التبريزي كان من أبرز رموز الطب والإدارة في العصر المملوكي، جمع بين رئاسة الأطباء وكتابة السر، وارتبط اسمه بالسلطان الظاهر برقوق الذي قرّبه وجعله وصيًا بعد وفاته. وُلد بتبريز عام ٧٥٩هـ/١٣٥٨م، ونشأ في القاهرة في كنف عمه الطبيب بديع بن نفيس. بعد وفاة عمه تولى فتح الله رئاسة الأطباء ثم منصب كاتب السر عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م. مرّ بتقلبات سياسية حادة، إذ عُزل وسُجن ثم عاد بوساطة، لكنه سقط في عهد المؤيد شيخ، فاعتُقل سنة ٨١٥هـ، وصودرت أمواله، وقُدرت المنهوبات بأكثر من أربعين ألف دينار، وخُنق في محبسه سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص١١٦.

(٢) عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، د.ت، ص٤٧. موسى السيد سالم: الأُسر العلمية ببلاد الشام ومصر ودورها الحضاري خلال العصر المملوكي، ص٢٤.

أسرة اليلداوي: وهي أسرة شامية الأصل، اشتهرت بالكحالة في القرن التاسع الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وكان أشهر أفرادها موسى اليلداوي، الذي برز في البيمارستانات المملوكية كطبيب موثوق، وتُظهر سيرته انتقال الخبرة الطبية من الشام إلى مصر، ضمن إطار علمي وأسري منظم [١].

أسرة القوصوني الطبية: برزت هذه الأسرة المملوكية، في نهاية القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري كعائلة مصرية اشتهرت بأطبائها الذين ورثوا صناعة الطب جيلاً بعد جيل وقدموا عدة أطباء حملوا لقب رئيس الأطباء بمصر كما حمل أحدهم لقب رئيس الأطباء في الدولة العثمانية (حكيم باشي)، كذلك ألف بعضهم المؤلفات الطبية المميزة للطب العربي. ومن أشهر أبنائها: عبد الوهاب بن صدقة القوصوني (ت ٨٣٥هـ/١٤٣١م) كان أول الأطباء الذين لفتوا الأنظار في هذه الأسرة، دون أن يترك مؤلفات طبية، لكن ظهوره شهد بداية الظهور الطبّي للأسرة في القاهرة، ويأتي من بعده ابنه شمس الدين محمد بن عبد الوهاب القوصوني (٨٣٤-

---

(١) وقد اشتهر من هذه الأسرة: موسي بن إبراهيم بن موسي بن محمد، شرف الدين أبو النجا اليلداوي الكحال، (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، طبيب كحال ينسب إلى يلدا من قرى غوطة دمشق، وهو أب لطبيب وجد لطبيب كحال، اشتهر بتصنيف الكتب الطبية والتي أشهرها " الرسالة النورية في أمراض العين الكلية" و"الجوهر النفيس بشرح منظومة الرئيس" و"الفتوح في علاج القروح" وغيرهم . وكذلك من بعده ابنه محمد بن موسي بن إبراهيم اليلداوي (ت٩٠٧هـ/١٥٠١م) طبيب كأبيه، وهو المكنى بخادم الطبيعة، صنف "اللمحة في الطب" وجعله برسم ابنه عبداللطيف، والكتاب لا زال مخطوطاً. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ط١، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٤١٤، ١٩٩٣م، ج٣، ص٩٢٨، ٩٢٩. عبدالناصر كعدان، علاء الدين الصغير: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٥٨. موسى السيد سالم: الأُسر العلمية ببلاد الشام ومصر ودورها الحضاري خلال العصر المملوكي، ص٣٢.

٩١٧هـ/١٤٣٠-١٥١١م) الذي تقلّد منصب رئيس أطباء القاهرة، وكان طبيبًا للسلطان الغوري وطبيبا بدار الشفاء. ذكر المؤرخ ابن إياس أن السلطان الأشرف قايتباي كرّمه هو وولده في سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، وترك مؤلفًا مشهورًا هو "كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة"، الذي قدمه هدية للسلطان الغوري[١]، وابنه الطبيب محمد بن محمد بن عبد الوهاب القاهري (ت ٩٣١هـ/١٥٢٤م) [٢].

تُظهر هذه النماذج كيف أن الأسر الطبية في العصر المملوكي لم تكن مجرد ظواهر فردية، بل كانت كيانات مهنية راسخة، ساهمت في دعم النظام الطبي الرسمي، وأدّت دورًا محوريًا في استمرار المعرفة الطبية وتطويرها.

وبالرغم من تعدد الأسر الطبية في العصر المملوكي وثراء مساهماتها، فقد وقع الاختيار على أسرة آل ابن صغير بوصفها نموذجًا مميزًا لمكانتها البارزة في العصر المملوكي، حيث تولّى أفرادها مناصب طبية عليا، مثل: رئاسة الطب، وارتبطوا بالمؤسسات الصحية الكبرى كالبِيمارستانات السلطانية. وقد جمعت هذه الأسرة بين الخبرة الطبية العملية والتأثير الإداري، مع توارث المهنة عبر أجيال متعددة، مما يُتيح تتبع تطور الطب داخل بنية أسرية مستقرة، إضافة إلى ذلك، توفرت حولها مصادر تاريخية موثقة تساعد في بناء دراسة علمية دقيقة، بخلاف أسر أخرى لم تحظَ بنفس القدر من التوثيق.

---

(١) بدائع الزهور، ج٤، ص٢١٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص١٠٠، ج٨، ص١٣٢. أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٢٨٣، ٤٢٤. عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٥٩.

المبحث الأول: لمحة عن الطب في العصر المملوكي

شكّل العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) مرحلة فارقة في تاريخ الطب الإسلامي في مصر، حيث شهدت البلاد استقرارًا إداريًّا نسبيًّا، ونشاطًا علميًّا ملحوظًا، ساهم في تطوير العلوم التطبيقية، وعلى رأسها صناعة الطب. وامتداد للحضارة الطبية الإسلامية، فقد أسس المماليك مؤسسات طبية متقدمة، مثل البيمارستانات، واهتموا برعاية الأطباء، وتوفير الموارد للمدارس الطبية.

ومن أبرز معالم الطب في هذا العصر:

١. اهتمام سلاطين المماليك بالطب والأطباء:

حظي الأطباء بمكانة مرموقة لدى سلاطين وأمراء الدولة المملوكية، إذ كانوا يحظون بثقتهم واهتمامهم البالغ، فكان من المعتاد أن يجلس الأطباء على أبواب الخلفاء والسلاطين بانتظار الإذن بالدخول لمعالجة من يمرض من أهل القصر. وكان الطبيب يفحص المرضى ويكتب لهم "دستورًا" (وصفة طبية)، ليُصرف الدواء من "خزانة الشراب"، حيث يُعطى الدواء للمريض، فيما يحتفظ المباشر على خزانة الشراب (الشراب خاناه) [١] بالوصفة شاهدًا على الصرف، ولم يكن السلاطين والأمراء

---

(١) الشراب خاناه: هو بيت الشراب، يشتمل علي أنواع الأشربة الخاصة بالسلطان أو الأمير من أشربة وعقاقير، وقد كان المسئول عن هذا البيت واحدًا من أكابر أمراء المماليك الخاصكية المؤتمنين وهو شاد الشراب خاناه، وله مهتار يعرف بمهتار الشربخاناه مَتسلم لحواصلها وتحت يده غلمان يطلق علي كل منهم شراب دار. وقد كانت مهمتهم ضبط جميع ما يُعد من أصناف، ومواضع استعمال كل منها، كما كانت لهم معرفة بما يصرف للمرضي المماليك من الشراب، ولما كانت الشرابخاناه تشتمل علي الأدوية والعقاقير الطبية، فقد أطُلق عليها اسم الدواء خاناه. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، ج٤، ص١٠. البيومي إسماعيل الشربيني : النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة ←←←

يتهاونون في أمورهم الصحية، فكانوا يستشيرون الأطباء في كل كبيرة وصغيرة تتعلق بصحتهم أو صحة أسرهم(١). وقد أشار العمري إلى الطبيب فرج بن صغير، الذي اعتمد عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون في علاجه، وكان يعمل بقوله في معالجة نفسه، وولده، وحريمه، وخواصه(٢).

وقد بيّنت التجارب أهمية استشارة الأطباء، كما يتضح من واقعة السلطان الظاهر بيبرس، الذي توفي نتيجة تناوله دواءً دون استشارة أطبائه، فأنكروا عليه فعله، ورغم ذلك لم يتخلوا عنه، بل بذلوا جهدهم لملاطفته ومعالجته، لكن المرض اشتد عليه، وتفاقمت الحمى، وبدأ يتقيأ دمًا إلى أن وافته المنية يوم الخميس ٢٨ من المحرم سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م(٣). وقد ترك هذا الحادث أثرًا بالغًا، فزاد حرص الحكام من بعده على استشارة الأطباء في شؤونهم الصحية.

وبرز اهتمام الدولة بالطب من خلال دعم الأطباء داخل البلاط السلطاني، حيث كانوا يُستدعون لعلاج السلاطين والأمراء، وينالون رواتب ومكافآت سخية، بل وقد

→→→

العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٧٣. إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ص٣١١.

(١) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٥. زين خلف نواف، لمي فائق أحمد: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد (١٠)،العدد (٣٤)، آيار ٢٠١٨م- شعبان ١٤٣٩هـ، ص٣٥.

(٢) مسالك الأبصار، ج٩، ص٦٢٥.

(٣) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس. ريتشارد، المعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٩، ص١٦٠. وللاستزادة انظر: زين خلف نواف، لمي فائق أحمد: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٣٥- ٤٠.

يتعرضون للعقوبة في حال فشلوا في العلاج، كما حدث مع الطبيب جمال الدين بن صغير، الذي لم يسلم من المحاسبة نتيجة خطأ طبي[١].

٢- التعليم الطبي في البيمارستانات:

تعد البيمارستانات[٢]من أهم المؤسسات العلمية في دراسة الطب، فقد كانت بمثابة معاهد علم فيها مكتبات، وتنظم فيها محاضرات تلقى على طلبة العلم، وكانت مفتوحة أمام كل طالب علم وإن كان معسراً[٣].

وكانت الدراسة في البيمارستان تنقسم إلى: جانب نظري، وجانب عملي، حيث كان يخصص بكل بيمارستان قاعة يجتمع فيها رئيس أطباء البيمارستان مع تلاميذه ومعاونيه الأطباء، حيث يقرأ عليهم بعضاً من الكتب الموجودة بخزانة القاعة، وبعد انتهائه منها، تبدأ المناقشات التي قد تمتد لساعات[٤]. ثم ينتقل بعد ذلك رئيس الأطباء مع تلاميذه ومعاونيه إلى حجرات المرضى، حيث تتم المعاينة والكشف،

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٢، ص ٣٨.

(٢) البيمارستان: كلمة فارسية معناها المستشفى وهي مؤلفة من كلمة (بي) ومعناها "بدون" و(مار) ومعناها " الحياة والحيوية "، و(ستان) ومعناها "مكان"، فمعنى الكلمة كلها: مكان للمرضى، قال الجوهري في الصحاح: المارستان دار المرضى. انظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧م، ج٣، ص٩٧٨. عبد الدائم، عبد الله: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص١٦٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ط) ،(د.ت)، ص٤٧. وانظر: علي، داود سلمان: معالم الفكر العربي في التراث العربي، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي، (١٩٨٩م)، ج١، ص٢٧.

(٤) انظر: أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٠٩، ٢١٠.

ويشرح لتلاميذه كل حالة على حده، وطريقة العلاج لها، وكان يخصص وقتًا أكثر لدراسة الحالات المستعصية، التي تستلفت الانتباه ويدور حولها البحث والنقاش، والتحليل والشرح، والطلبة يدونون ويسجلون ما يدور في الجلسات حتى يمكنهم الرجوع إليه عند الحاجة إليه(١).

وفي عهد دولة المماليك البحرية، أنشأ السلطان المنصور قلاوون بيمارستانًا عظيمًا، عُرف باسم بيمارستان قلاوون، ويُشار إليه أيضًا بالبيمارستان المنصوري أو دار الشفاء، ويُعدّ هذا البيمارستان من أبرز المنشآت الطبية في تاريخ مصر الإسلامية، وقد أُقيم في قلب القاهرة، وتحديدًا في شارع المعز لدين الله الفاطمي، حيث لا يزال موقعه قائمًا حتى اليوم، وقد شُيّد هذا البيمارستان في منطقة كانت تعرف قديمًا ببين القصرين، وهي المساحة الواقعة بين القصر الكبير الشرقي الذي أنشأه جوهر الصقلي سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، أثناء فتحه لمصر نيابةً عن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، والقصر الغربي الصغير الذي بناه الخليفة العزيز بالله عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، وقد شكّلت هذه المنطقة قلب العاصمة الفاطمية، وكانت مقرًا للحكم ومركزًا للأنشطة الدينية والعلمية، مما زاد من أهمية موقع البيمارستان الذي أراده السلطان المنصور قلاوون منارةً للطب ورعاية المرضى(٢).

وكان بيمارستان قلاوون بالقاهرة من المؤسسات الطبية الكبرى، وتضاهي المستشفيات الحديثة من حيث البنية والتنظيم وتنوع التخصصات. وقد أشار المقريزي

---

(١) انظر: زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١٠، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٢٣٤.

(٢)المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٦٨. انظر: سمير يحيى الجمال: الطب والصيدلة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٠٠.

إلى أن بيمارستان قلاوون كان يُصرف فيه الدواء مجانًا، وكان يعمل فيه نخبة من الأطباء المتخصصين في طب العيون، والجراحة، والباطنية[١].

ويُعزى تأسيس بيمارستان قلاوون إلى تجربة شخصية مر بها السلطان المنصور قلاوون قبل توليه الحكم، فقد كان في الأصل من أصل تركي، وقد اشتراه الملك الصالح أيوب ثم أعتقه، فترقى في المناصب حتى أصبح أميرًا في عهد المماليك، وفي عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، وأثناء وجوده في دمشق للمشاركة في غزو الروم في عهد السلطان الظاهر بيبرس، أُصيب بالقولنج (وهو مرض مؤلم يصيب الأمعاء الغليظة). وقد عجز أطباؤه عن معالجته، حتى تم استدعاء طبيب من البيمارستان النوري[٢] الشهير الذي أنشأه نور الدين محمود، فتمكن هذا الطبيب من علاجه وشفائه من المرض، فأُعجب قلاوون بعد شفائه بالنظام الدقيق للبيمارستان النوري، وزاره بنفسه، وهناك نذر قائلاً: إنه إن تولى حكم مصر، فسيبني بيمارستانًا مثله، وبالفعل، بعد أن تولى عرش مصر، أوكل إلى علم الدين سنجر الشجاعي[٣] مهمة

---

(١)المقريزي: الخطط والآثار، ج٤، ص٢٦٩.

(٢) البيمارستان النوري ينسب إلى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر. أنشأه بدمشق ضمن ما أنشأ من مدارس ودور العدل والخوانق والبيمارستانات والخانات سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م. ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ١٧٠-١٧١. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٢٧، ص ١٦٧.

(٣) علم الدين سنجر الشجاعي: هو سنجر بن عبد الله الحلبي، من أمراء الملك المظفر قطز، تولى نيابة دمشق في عهد السلطان قطز، وكان من الأمراء البارزين في دولة قلاوون، توفي سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م ، ج ٦، ص ٧٦.

بناء البيمارستان، وبدأ العمل فيه سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، ليصبح لاحقًا من أعظم المؤسسات الطبية في العالم الإسلامي(١).

كما انتشر تدريس الطب في المدارس الكبرى كالمستنصرية، والمدارس السلطانية، وتمّ اعتماد كتب مثل: "الموجز" لابن النفيس و"القانون" لابن سينا، إضافة إلى تدريس التشريح، والأدوية المفردة، وفقه الصحة. وقد ازدهرت الإجازات الطبية، فكان الطالب يعرض محفوظاته على العلماء ويُجيزونه، كما حصل مع الكمال محمد بن صغير(٢).

٢. رئاسة الأطباء وتنظيم المهنة.

شهدت الدولة المملوكية تنظيمًا لمهنة الطب من خلال منصب "رئيس الأطباء"، والذي يُعد من أبرز المناصب الطبية والإدارية في الدولة المملوكية، وقد أُنشئ هذا المنصب لضبط وتنظيم مهنة الطب، وضمان جودة الخدمات الصحية المقدّمة في البيمارستانات وغيرها من المرافق الطبية. وكان رئيس الأطباء بمثابة المسؤول الأول عن الأطباء والعاملين في المجال الطبي، ويخضع لإشرافه تنظيم العمل، وإجازة الممارسين، وتقييم أدائهم، بل وكان يملك سلطة سحب الإجازة من غير المؤهلين أو المتهاونين(٣).

ولم يكن يُعيّن في هذا المنصب إلا من بلغ مرتبة عالية من التمكّن العلمي والخبرة العملية، ممن جمعوا بين إتقان العلوم الطبية النظرية والممارسة العملية، كما

---

(١)المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٦٨. سمير يحيى الجمال: الطب والصيدلة المصرية، ج٣، ص٢٠٠.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٨، ص ٣٤.

(٣) المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٦٨-٢٦٩.

كان له دور في الإشراف على تدريس الطب في البيمارستانات التعليمية، مثل: البيمارستان المنصوري، وفي المصادقة على "الدساتير الطبية" (الوصفات)، ومتابعة أداء العطارين، كما مثّل هذا المنصب أداة رقابية هامة، إذ كان يتابع شكاوى المرضى من الأخطاء الطبية أو الأدوية المغشوشة، ويحقق فيها، وقد يوصي بمعاقبة الطبيب أو العطار بحسب خطئه. وكان لرئيس الأطباء مكانة معتبرة في البلاط السلطاني، حيث يُستشار في المسائل الطبية الكبرى، لا سيما إذا مرض أحد أفراد الأسرة السلطانية أو كبار رجال الدولة [١].

وقد ذُكرت أسماء بعض من تولوا هذا المنصب في المصادر المملوكية، وكانوا عادةً من مشاهير الأطباء في عصرهم، مثل: الطبيب علاء الدين علي بن الصغير، والطبيب بدر الدين بن قاضي عجلون، وغيرهما.

إن الطب في العصر المملوكي لم يكن مهنة فقط، بل كان جزءًا من جهاز الدولة ومؤسسة علمية حية، جمعت بين التقليد والابتكار، بين الدور المهني والاجتماعي. وقد برزت في هذا الإطار أسر طبية كان لها دور حضاري عميق، من أبرزها أسرة "ابن صغير"، التي سيتم تناولها في هذا البحث كنموذج متكامل للتفاعل بين الطب والمجتمع والدولة.

---

(١) عن رئاسة الطب وإدارة البيمارستان انظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٦٠٨. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢٦٨– ٢٧١. زين خلف نواف، لمي فائق أحمد: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٤٧.

المبحث الثاني: النشأة والتكوين العلمي لأسرة ابن صغير

❋ أصل الأسرة وجذورها.

أسرة ابن الصغير، أسرة طبية مشهورة بمصر، وفدت إليها من بلاد العجم، وقد روى شهاب الدين العمري أن بني صغير وبني كوجك (أسرة الطبيب السديد الدمياطي) [١] هم أهل بيت واحد، كانوا كلهم يعرفون ببنى كوجك، وكوجك (تركية) تعني باللغة العربية: (صغير)، فلما قدموا مصر، عرّب فريق منهم اسم جدّهم المنسوبين إليه، وبقي فريق على اسمه الأعجمي[٢].

وفيما يبدو أن هذه الأسرة الطبية قد دخلت الإسلام بعد نزولها مصر، ونالت في الطب درجة رفيعة، فقد كان منها جملة من رؤساء الأطباء، منهم: فرج الله ابن صغير تلميذ ابن النفيس، وحفيده علاء الدين علي بن عبد الواحد بن صغير الذي تولى رئاسة الطب بالقاهرة [٣].

وفي معجم الأطباء جمع الدكتور أحمد عيسى تراجم العديد من الأطباء الذين يحملون جميعا لقب ابن صغير، ومنهم: الكمال عبد الرحمن بن ناصر بن صغير – علاء الدين علي بن نجم الدين عبد الواحد بن صغير – محمد بن محمد بن علي ابن

---

(١) السديد الدمياطي: اليهودي، يعرف بابن كوجك، قرأ على ابن النفيس، والنابلسي، وغيره، أتقن الحكمة والطب، وأخذ من كل فن بطرف، لقب بجالينوس زمانه، وتنافس عليه كبار رجال الدولة في معالجة أمراضهم، ورُوي أنّ الأطباء كانت إذا اختلفت في حدس مرض أو وصف دواء عادوا إلى رأيه ورجعوا إلى قوله، وقد اعتمده السلطان الناصر محمّد بن قلاوون طبيبًا، توفي نحو ٧٤٣هـ/١٣٤٢. العمري: مسالك الأبصار، ج٩، ص ٦٢٢.

(٢) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص ٦٢٣.

(٣)ابن النفيس: رسالة الأعضاء، دراسة وتحقيق: يوسف زيدان ، ط١، نشر الإدارة العامة للنشر ، القاهرة، ٢٠٠٨م ص ٤٦.

علي بن صغير – محمد بن علي بن عبد الكافي بن صغير – ناصر الدين محمد ابن عبد الله بن صغير، وغيرهم(١).

ولهذه الأسرة بمصر دار تعرف بدار ابن صغير ذكرها المقريزي في خططه قائلا: " دار ابن صغير: هذه الدار من جملة الميدان، وهي اليوم من خط باب سرّ المارستان المنصوري، أنشأها علاء الدين علي بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير، رئيس الأطباء" (٢).

❋ أهم أعلام أسرة ابن صغير الطبية:

أنجبت هذه الأسرة التي اشتهرت ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري في مصر عصر سلاطين المماليك العديد من الأطباء، وتوارثت أحفادهم الطب فكانت لهم مكانة علمية راقية في المجتمع المصري آنذاك، وفيما يلي أهم أطباء هذه الأسرة:

(١)- ناصر الدين محمد بن صغير(٦٩١-٧٤٩هـ/١٢٩١-١٣٤٨م)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير، ناصر الدين الطبيب المصري(٣)، أوّل من ذاع صيته واشتهر من عائلة "ابن صغير" الطبية في العصر المملوكي، وقد

---

(١) أحمد عيسى: معجم الأطباء، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ص ٢٦٤، ٣١٠.

(٢) الخطط المقريزية، ج٣، ص١٠٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م،، ج٥، ص٤٥٥ ترجمة رقم (١٨٥٧). وقد اختلط الأمر على المؤرخ ابن شاهين وذكر اسمه بأنه " الطبيب المشهور، الشمس، محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير" والأصح أنه ناصر الدين وليس الشمس. انظر: ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ج١، ص١٧٦. المقريزي: المقفى الكبير، ←←←

اشتهر في النصف الأول من القرن الثامن الهجري بممارسته لصناعة الطب ومهارته في المعالجة. وُصف بأنه طبيب متمكّن، وقد جمع بين صناعة الطب وثقافة الأدباء و"ظرف الحكماء"، كما وصفه معاصروه، وُلد سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، ونشأ في بيت علم وأدب، فقرأ الطب والحكمة على يد والده، وتعلّم الأدب على يد الشيخ علاء الدين القونوي[١] أحد كبار الأدباء في زمنه[٢] وهو "من بيت كلهم أطباء" [٣].

برز ناصر الدين بن صغير في البلاط المملوكي فقد كان من أطباء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[٤](ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) ، وعُرف عنه أنه لا يطبّ إلا

←←←

تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٧، ص٣٦، رقم ٣١٠٥.

(١) القونوي: علي بن إسماعيل بن يوسف، علاء الدين القونوي (٦٦٨–٧٢٩ هـ/ ١٢٧٠–١٣٢٩ م)، وُلِد في قونية (تركيا) عام ٦٦٨ هـ، واستقر بالقاهرة قرابة ٣٠ عامًا ثم تولّى قضاء دمشق عام ٧٢٧ هـ، وتوفي بها عام ٧٢٩ هـ عالم شافعي، أديب وأصولي، حائز لقب قاضي القضاة، ومشهود له بالتقوى والعلم، ألّف شروحًا مثل: "شرح الحاوي" و"مختصر المنهاج"، وتخرّج على يده كثير من العلماء، كما تربّع في تدريس التصوف والفقه. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥ .

(٣) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر، سورية، دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج٥، ص١٨٠. عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٤٧.

(٤) الناصر محمد بن قلاوون: وهو التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية، ولد في٦٨٤هـ/١٢٨٥م، تولى السلطنة ثلاث مرات: الأولى في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وعمره تسع سنين، ولكنه عزل بعد سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م، ثم تسلطن للمرة الثانية سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م وعمره أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، ولكنه عزل عنها في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، ثم عاد للمرة

←←←

لأهل السلطان والمقرّبين منه[١]، وهذا ما يشير إلى انتمائه إلى الطبقة العليا من الأطباء .

وقد رافق السلطان في إحدى رحلات الحج سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م[٢] ، كما تمّ استدعاؤه سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م من القاهرة إلى حلب، على جناح السرعة، لمداواة الأمير علاء الدين ألطنبغا الماردانى[٣] نائب حلب، إلا أنه لم يدركه حيًا[٤]، فأقام

→→→

الثالثة في سنة٧٠٩هـ/١٣٠٩م وفُتحت في أيامه بلاد كثيرة، وكان مطاعًا، مهيبًا، يُعظم أهل العلم، توفي في ٧٤١هـ/١٣٤٠م. الشجاعي. تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده. تحقيق وترجمة: بربارة شيفر، فرانزشتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٠٩-١١٩، ١٢٤. الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص٧٣- ٧٥، الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د . ت، ج٢، ص٢٣٧، ٢٣٨.

(١) المقريزي: المقفى الكبير، ج٧، ص٣٦، رقم ٣١٠٥. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥.

(٢)الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥ .

(٣) الطنبغا الماردينى. علاء الدين الماردانى الساقي الناصري، أحد مماليك السلطان الناصر محمد، أحسن إليه السلطان محمد وعينه حاملا للكأس، ثم رئيسا للطبلخانة "الموسيقى العسكرية"، ثم أمير مائة ومقدم ألف، وزوجه ابنته. أنشأ ألطُنبُغا مسجداً بالتبانة وأنفق عليه مالاً كثيراً، إلا أنه سجن في سلطنه المنصور أبي بكر عام ٧٤٣هـ/١٣٤١م. وأُطلق سراحه في عهد السلطان الأشرف كجك. ثم نقل إلى نيابة حماة ثم حلب في دولة سلطنة الصالح إسماعيل ٧٤٣هـ، فاستمر بها إلى أن مات ٧٤٤هـ/١٣٤٣م. الصفدي: الوافي بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٩، ترجمة ١٩٤٩، ص ٢٠٩، ٢١٠. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٠٩.

(٤) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١.المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٩٨.

بدمشق قرابة خمسين يومًا يُمرّض في مدرسة الدنيسري[١] بعد أن تغير مزاجه فمرض بها مدة [٢]، وفي هذا دلالة واضحة على ما لحق به من مشقة التنقل والعدوى أثناء الطاعون. كما يستشف من هذه الرواية المكانة التي كان يحظى بها ابن صغير بين الأطباء، إذ طُلب على عجل من القاهرة إلى حلب لعلاج أحد الأمراء البارزين، وهو ما يعكس الثقة بعلمه ومهارته، رغم أن محاولة العلاج لم تُكلّل بالنجاح.

تميز ناصر الدين بشخصية طريفة وأسلوب حياة خاص، وصفه مؤرخو عصره بأنه "لطيف العشرة، دمث الأخلاق"[٣]، وكان يحب المجون والمزاح، له يد في ضرب العود سرا، حتى قيل: "لا ينصبُّ إلا إلى المجون وفيه يشره"، وكان يلازم بعض

---

(١) مدرسة الدنيسري: وتقع غربي باب البيمارستان النوري والصلاحية باخر الطريق من قبله، أنشأها عماد الدين الدنيسري الطبيب الشافعي محمد بن العباس بن أحمد بن صالح الحكيم البارع عماد الدين الربعي الدنيسري سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، وكان قد ولد بدنيسر وقرأ الطب حتى برع فيه وسار وسمع الحديث بالديار المصري، وله مصنفات في الطب وهو صاحب المدرسة الدنيسرية للأطباء والتي أنشأت خصيصا لتدريس علوم الطب وكان يشرف عليها ويدرس فيها لرؤساء الطب المتميزون والمشتهرون بالصناعة الطبية. انظر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص١٠٤-١٠٦. أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية ، ص٦٢.

(٢)الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١. سليم عبابنة: معجم أعلام الطب في التاريخ العربي الإسلامي، دار البيروني للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص٣٠١، ترجمة رقم (١٤٣٧). عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير: الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص٤٧.

(٣) المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص٣٦، رقم ٣١٠٥.

أصدقائه الخاصين ويعزف لهم العود[١]. وهو ما يعكس طبيعة الشخصية المثقفة في المجتمع الحضري المملوكي، والتي جمعت بين الثقافة والعلم والتسلية، بعيدًا عن التقشف العلمي الصارم.

وبالرغم من كونه من الأطباء السلطانيين، إلا أن حالته المالية كانت متواضعة على حد قول الصفدي كان " رزقه قليل "[٢]، فيحكي الصفدي أنه لما رأى حاله كذلك لامَهُ قائلا: :" قلت له يا مولى ناصر الدين، لو جلست في دكان عطار وعالجت الناس لدخلك كل يوم أربعون خمسون درهماً. فقال: يا مولانا هؤلاء نساء القاهرة إن لم يكن الطبيب يهودياً شيخاً مائل الرقبة، سائل اللعاب وإلا فما لهنّ إقبال عليه" [٣].

وهنا أنه علّل امتناعه عن تطبيب الناس بالجلوس في دكان عطار بأن نساء القاهرة لا يثقن إلا بالطبيب "الشيخ، اليهودي، مائل الرقبة، سائل اللعاب" في سخرية لاذعة من صورة الطبيب الشعبي.

وقد ارتقى إلى ربه في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م؛ إذ توفي في طاعون مصر الكبير[٤] وهو من أعنف الأوبئة التي شهدها ذلك العصر، وقد بلغ من العمر

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص٣٦، رقم ٣١٠٥. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥.

(٢) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١.

(٣) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١. وانظر ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥. ويوضح الصفدي بأن الطبيب ناصر الدين يقصد بكلامه الطبيب الشعبي السديد الدمياطي لأنه بهذه الصفة. وانظر: السخاوي: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ج٣، ص١٠٣٣.

(٤) طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م: انتشر الوباء العظيم الذي شمل كل أنحاء العالم تقريباً، وقد ورد ذكره في بعض المصادر بالعديد من الأسماء، منها "الوباء الكبير" أو" سنة الفناء" كما

←←←

ثمانية وخمسين عامًا تقريبًا[١]، ولم يُعرف له مؤلفات طبية، وإنّما حُفظ له اسمه من خلال الروايات التاريخية التي أرّخت لحياته وبعض مواقفه المهنية، وقد رثاه بعض الأدباء بأبيات شعرية مؤثرة تعكس مدى عمق الفقد وتأثيره في البيئة الطبية والأدبية آنذاك، ومنها:

أظن الناس بالآثام باؤوا *** وكان جزاؤهم هذا الوباء

أسيّد من له قانون علما *** بحيلة برئه يرجى الشفاء

أآجال الورى متقاربات *** بهذا الفضل أم فسد الهواء

أم الأفلاك أوجبت اتصالاً *** به في الناس قد عاث الفناء

أم استعداد أمزجه جفاها *** جميل الطب واختلف الغذاء

→→→

وصفه آخرون بقولهم" الوباء الذى لم يُعهد مثله"، وقد استمر هذا الوباء إلى بداية سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وكان هذا الطاعون قد انتشر في معظم أنحاء العالم ، فتنقل ما بين بلاد القرم والصين والهند، وبلاد الفرنج والأندلس وبغداد، وقبرص، وغزة ، وأغلقت الأسواق لقلة وجود الناس وكذلك دار الطراز لعدم وجود الصناع، كما أغلقت دار الوكالة لعدم الوارد إليها . واستمر انتشار المرض في مدن الوجه البحري في دمنهور، والمحلة، والبرلس، ودمياط ، وتعطلت أعمال الصيد لموت الصيادين ،ويصف المقريزي ما تعرض له الصيادين في مدينة دمياط فيقول:" مات العباد فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكاً ميتاً، فكان يوجد في السمكة كبة " . المقريزي: السلوك ،ج٤،ص٨٠ . ابن شاهين: نيل الأمل، ج١،ص١٧٧. ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٥٢٨.

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٩٨. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٥٥. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ١ ق ١، ص٥٢٣. أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية . ص٨٦.

أم اقتربت على ما تقتضيها *** عقيدتنا فللزمن انتهاء
أفِدنا ما حقيقة ما تراه *** فما الأذهان أحرفها سواء
وقلْ ما صحّ عندك من يقين *** بحقٍ لا يعارضُه رياء
فإني غير مفش سرَّ حَبْرٍ *** من المُتشرّعين به حياء
ولا تخلى الأحبة من دعاء *** فمنك اليوم يلتمسُ الدعاء [١]

ويتبين مما سبق أن ناصر الدين هذا يُمثّل نموذج الطبيب الأديب واسع الثقافة والذوق، غير أنه لم يستثمر وقته في إعداد مؤلفات في الطب.

(٢)- الطبيب فرج الله بن صغير والمعروف بأبو الفرج بن صغير:

يُعدّ فرج الله بن صغير، المعروف بأبي الفرج، أحد أبرز الأطباء الذين خدموا في البلاط السلطاني في العصر المملوكي، وخاصة في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. ترجم له العمري ترجمة وافية غير أنه لم يشر إلى اسمه ونسبه[٢].

وبفضل علمه الغزير، وحِذقه في المعالجة، وحُسن رفقه بالمرضى نال مكانة رفيعة عند السلطان فاختص بخدمة القصر السلطاني، لا سيما النساء والحرم والدور السلطانية، وكان من النادر أن يُمنح طبيب واحد هذا الامتياز، إذ كانت العادة أن يتناوب الأطباء على هذه المهام[٣].

---

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨٢-١٨٣.
(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٤.
(٣) أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية (مصر وبلاد الشام والحجاز) ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م، ص٨٧.

تعلّم فرج الله بن صغير علوم الطب على يد والده[١]، ثم تكمّلت دراسته في مدرسة علاء الدين ابن النفيس، وقد أُذن له أولًا في ممارسة الكحل، ثم في التطبيب، وهي مراحل تقليدية في تكوين الأطباء آنذاك. جلس للتعليم والممارسة، وعُرف بإتقانه لعلم الطب، وظهرت بصمته في شفاء المرضى، حتى شاع صيته في مصر وخارجها[٢].

وقد تأثر بالمدرسة العلمية التي تركز على التشخيص الدقيق، والعلاج المبني على الملاحظة والمقارنة. لم يكن من المؤلفين، لكنه عُرف بكفاءته العملية العالية، وقدرته الفائقة على التفاعل مع المرضى، فقد عمل فرج الله بن صغير ضمن دائرة الأطباء العاملين في خدمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، كما تفرد دون غيره بخدمة الأمير "بكتمر الساقي"[٣]، أحد الشخصيات المقربة من السلطان. وقد أُطلق له

---

(١) لم يذكر العمري اسم ابيه غير أنه قال: إن قابل الطبيب أبو الفرج وقال له: إنه قرأ الطب على يد أبيه وهو ما يوحي لنا أن أباه كان طبيبا أيضا إلا أنه لم يكن مشهورًا بقدر أبيه. انظر ترجمته في: العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٤.

(٢) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٤.

(٣) بكتمر الساقي: الأمير الكبير سيف الدين بكتمر السّاقي، كان أولا من مماليك الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ثم انتقل إلى السلطان الملك الناصر وجعله ساقيا، وعظمت مكانته عند السلطان وزادت محبته له، وصاهر الأمير تنكز نائب الشام حيث زوج ابنته بابن بكتمر، وعظم شأنه عند السلطان وأصبح ذا مكانة عظيمة لا يفترقان، إما أن يكون عند السلطان أو السلطان عنده، وكان فيه خير وسياسة وقضاء لحوائج الناس. توفي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م ودفن بتربته التي أنشأها بالقرافة. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٢٢. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص٢١ ترجمة رقم(١٣٠٨). ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٨، ص١٨٣.

راتب معلوم وافر، وهو ما يدل على تقدير الدولة لكفاءته الطبية. ومن اللافت أن معالجته لم تكن مقتصرة على الأوامر السلطانية، بل كانت تمتد لتشمل العامة، وقد سُجّلت له مواقف إنسانية فريدة تدل على تفانيه في مهنته[١].

عندما ذُكر اسمه في حضور الطبيب ناصر الدين محمد بن صغير أثناء علّته في دمشق، قال في حقه: "من كان مثل الحكيم فرج الله؟" ثم أثنى عليه ثناءً بالغًا، وأكد أنه كان يُقدّم مصلحة المريض على مصلحته الخاصة، على عكس الطبيب السديد الدمياطي، الذي كان – على حد تعبيره – لا يجتهد إلا في نطاق ما يناسبه هو، بينما كان فرج الله يسعى دائمًا لإرضاء المريض، وتعديل العلاج والغذاء حتى يُناسب مزاجه واستجابته النفسية. ثم قارنه بالطبيب السديد الدمياطي قائلًا: " كان السديد يعمل في مصلحته، أما فرج الله فيعمل في مصلحة المريض، فكان إذا كره المريض أو من حضر دواء أو غذاء أبدله بغيره، فإن كرهوه ثانية أبدله بغيره "[٢].

وتُظهر هذه الشهادة الفارق الفلسفي في منهج فرج الله العلاجي، حيث قدّم رضا المريض وتجاوبه النفسي على الالتزام الصارم بوصفات جاهزة، في سابقة نادرة تُشير إلى فهمه لأهمية الجانب النفسي في العلاج.

أما عن براعته في التشخيص فقد كان أحد أبرز الأمثلة على فطنته، ما نُقل عنه أنه رأى رجلًا جالسًا على باب المدرسة الصالحية[٣]، لا يبدو عليه المرض، فظل

---

(١) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٥.

(٢) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٥.

(٣) المدرسة الصالحية: بخط بين القصرين من القاهرة، كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقيّ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد، سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، ورتب فيها دروسا أربعة لفقهاء المذاهب الأربعة في سنة٦٤١هـ/١٢٤٣م، وهو أوّل من عمل بديار مصر دروسا أربعة في مكان واحد، فكانت من أجل مدارس القاهرة. ابن عبد الظاهر: ←←←

ينظر إليه ثم سأله إن كان قد تعرّض لعضة كلب، فأجابه بالإيجاب. فأمره بالعودة إلى بيته والتداوي فورًا، وسارع بنفسه إلى إخبار أهله ومباشرة معالجته، قائلًا :" اهتموا به وعالجوه، فقد عضّه كلب" وأخبرهم بأن علامات السُّعار بدأت تظهر عليه، وشرح لهم مراحل المرض القادمة بدقة، وقد صدق حدسه ولم يخطئ في توقّعه." وقد أثبتت الأيام صحة تشخيصه، في حادثة تُظهر يقظته وبُعد نظره كطبيب(١).

وقد نقل العمري الذي كان معاصرا للطبيب أبي الفرج حادثة أخرى تؤكد دقته في تشخيص الأمراض وعلاجها، وهي أنه عندما أصيب والده بورم في اليد، بدا أنه شُفي منه، لكن فرج الله انفرد بتشخيص مغاير، إذ رأى أن الورم لم يُحلّ، بل انتقل إلى موضع خفي في الجسد، ورجّح أن يكون إلى القصبة الهوائية، وتوقّع تطوّر الحالة وضيق النفس والوفاة خلال أيام، وقد وقع الأمر كما توقّع، مما دلّ على قدرته في استبصار الحالات(٢).

ويستطرد العمري في ذكر وصفاته العلاجية والتي توحي بأنه كانت له وصفات مبتكرة وعملية، منها معالجة الدوار الصفراوي بغمس القدمين في ماء مسخّن فوق الحد المعتاد، مع دلكهما بالملح والنخالة والحجر، مما أدى إلى انحسار الأعراض سريعًا. وكان حريصًا على تبسيط العلاج وربطه بالمعيش اليومي للناس.

وفي إحدى المرات أراد العمري السفر للحج، وقد وافق زمنًا شديد الحرارة، فسأل الطبيب أبو الفرج عن وسيلة لتخفيف الحر، فنصحه بأن يخلط زرقطونا بماء وخل

←←←

الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية بالقاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مطبعة أوراق شرقية، القاهرة،١٤١٣هـ/١٩٩٦م، ص٥٨. المقريزي: الخطط، ج٤، ص٢١٧.

(١) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٦.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٦ – ٦٢٧.

حاذق، ويضمد به الصدر والرقبة. وقد أثبتت التجربة العملية نجاح الوصفة بشكل مذهل، حتى وصف العمري شعوره بق وكأن على صدره قطعًا من الثلج رغم قيظ الصيف[١].

وعلى الرغم من كل ما سبق من فضل وبراعة، فقد انتهت حياة فرج الله نهاية مأساوية، حيث يُقال – بحسب العمري – إنه مات على اليهودية، وهي رواية لا يُمكن التأكد من صحتها تاريخيًا، ولكنها تعكس صدمة الراوي لخسارته العلمية والإنسانية[٢].

(٣)- علاء الدين علي بن صغير[٣] (ت ٧٩٦هـ/١٣٩٤م)

هو علاء الدين علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير، علاء الدين بن نجم الدين بن شرف الدين رئيس أطباء الديار المصرية[٤].

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٧.

(٢) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٨.

(٣) ترجمته في: المقريزي: السلوك، ج٥، ص٣٦١. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١ و ٤٨٢ رقم ١٧. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار المعرفة، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص١٨٥ ترجمة رقم (٥٥٦). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.، ج١٢، ص١٤٠. ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، ج٢، ص٣٥٠. ابن إياس: بدائع الزهور ، ج ١ ق ٢/ ٤٧١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩١.

(٤) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص٥٤٧.

ولذا هو أشهر أطباء بني صغير(١).

يُعدّ الرئيس علاء الدين من كبار أعلام الأسرة الطبية، وقد تولّى رئاسة الأطباء في مصر، وهو أعلى منصب في المنظومة الطبية للدولة المملوكية، مما يدل على مكانته العلمية الرفيعة ومهارته في صناعة الطب.

وصفه المعاصرون بكونه "فاضلاً مفنناً انتهت إليه المعرفة"(٢)، أي متقن لفنون متعددة من المعرفة، مهر في معرفة العلاج(٣)، وقد انتهت إليه الريادة الطبية في زمانه، وتميّز بحدس طبيّ بالغ الدقة " ماهرا في صناعته"(٤)، حتى حفظ عنه أهل مصر الكثير من الحكايات الطبية ذات الطابع العلاجي الغريب(٥)، وفي تلك الحكايات دلالة على مهارته السريرية وحنكته التشخيصية.

امتاز علاء الدين بهيئته الوقورة، فكان جميل الشَّيبة، حسن الصورة، بهي الشكل، مهيب الطلعة(٦)، وهي أوصافٌ كان لها أثر في ثقة الناس به.

تتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم منهم العز بن جماعة(٧)، والذي قال عنه: "أحد أعيان العلماء في عصره، إنه أخذ عنه العلم، وسمع فوائده، وأثنى على خصاله

---

(١)المقريزي: السلوك، ج٥، ص٣٦١. السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٥٤٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. وقد ذكر ابن حجر أنه اجتمع به وسمع من فوائده . انظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج٣، ص١٨٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٤.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠.

(٥) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١.

(٦) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩ ترجمة رقم(١٦٥). ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩١.

(٧) العز بن جماعة: هو محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة ولد بدمشق بالمدرسة العادلية الكبرى بمنزل والده حيث كان والده قاضي القضاة بالشام

←←←

العلمية والإنسانية، كما اجتمع به مرارًا، مما يدل على قربه من الوسط العلمي والعلميّين[١].

وقد جمع الرئيس علاء الدين بن صغير بين الخبرة العلمية والكرم الإنساني، إذ كان صاحب مال وفير بلغ خمسة آلاف دينار، لكنه خصّصه للقرض الحسن، فكان يقرض المحتاجين "برهنٍ من غير استفضال بل ابتغاء الثواب"[٢]، في وقت شاع فيه الإتجار بالدواء والخدمة الطبية.

وقد ذكر المؤرخ ابن حجر العسقلاني[٣] نقلا عن شيخه تقي الدين المقريزي – والذي كان مقربا من هذا الطبيب– مشاهدات طبية فريدة، تظهر جانبًا من خبرته بالمداواة المباشرة، منها أنه:

→→→

في ذلك الوقت، ونشأ بدمشق في طلب العلم فهو سليل أسرة اشتهر أبناؤها بالعلم فعاش في عز زائد وسعد كثير، وديانة وتصون، أهّله عمله وثقافته الواسعة لتولى الكثير من المناصب، وتوفي عز الدين بن جماعة بمكة المشرفة سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، مجاوراً بعد أن أقام بمكة ثلاثة أيام، ودفن بها. المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م ، ج٢، ص ٢٩٨. السلوك، ج٤، ص ٢٩٦. ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر، ص٢٤٣–٢٤٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٧٢.

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ج٣، ص١٨٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨٢. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٤–٩٥. وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩١.

* كان يصف الدواء للموسر بأربعين ألفًا، ويصف الدواء نفسه للمعسر بفلسٍ واحد، في دلالة على عدالته وحكمته وحرصه على المصلحة لا على المال.
* وأنه ذات مرة سأل مريضًا بالسعال وشكى له شدته، فقال له: لعلك تنام بلا سراويل؟ قال الرجل : إي والله! قال: فلا تفعل، نم بسراويلك، فمضى، ثم بعد عدة أيام لقى شيخنا المقريزي الشيخ فسأله عن حاله فقال له: عملت ما قال لي الطبيب فبرئت.
* ويحكى المقريزي أيضا أنه كان جار له يشكي من رعاف[١] حدث لابنه وزاد عليه حتى أفرط ابنه وانحلت قواه، فنصحه الطبيب علاء الدين بأن يشرّط أذني ولده لعلاج الرعاف المفرط، فتعجب الجار من كلام الطبيب فقال له : توكل على الله وافعل، ففعل وقد شُفي الطفل بذلك.

ويذكر ابن حجر نقلا عن المقريزي ما يفيد أن له حكايات من هذا القبيل كثيرة قائلا: " وله من هذا النمط أشياء عجيبة"[٢] وهذا يستشف منه أنه له طرق للمداواة في الطب التقليدي الإسلامي، تُظهر معرفته الواسعة بالتقنيات العلاجية البسيطة والمجربة، وما يدل على تفكيره في العوامل البيئية والنفسية للصحة قبل صرف الأدوية.

---

(١) الرّعاف: سيلان الدم من الأنف. انظر : المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة، د.ت، ج١، ص٣٥٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨٢. وانظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩١.

منافسة في رئاسة الطب:

وكانت بين علاء الدين ابن صغير وصدر الدين بديع بن نفيس، ففي سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، تم تعيين الطبيب صدر الدين بديع بن نفيس شريكًا للطبيب علاء الدين ابن صغير في رئاسة الطب بالقاهرة[١]، الذي أولى اهتمامًا كبيرًا بتنظيم مؤسسة الطب ورجالاتها. غير أن هذا التعيين لم يلقَ قبولًا واسعًا في الأوساط الطبية، إذ كان غالب الناس يميلون إلى علاء الدين بن صغير " لتقدمه في صناعته وحسن مباشرته للناس وتودده لهم".

وقد انعكس هذا الموقف الشعبي في أشعار معاصريه الذين سجّلوا امتعاضهم من التعيين المشترك بأسلوب ساخر رشيق، حيث قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب:

قالوا بديعٌ غدا شريكًا *** لابن صغيرٍ وذي تعاسة

قلتُ: شريكٌ بنصفِ جعلٍ *** ولم يُشاركه في الرئاسة

كما أنشد ابن العطار في السياق ذاته:

قالوا بديعٌ غدا شريكًا *** لابن صغيرٍ وشال رأسه

قلت قبيح على بديع *** من أين هاذاك والرئاسة [٢]

وتُظهر هذه الأشعار بوضوح أن التقدير الحقيقي مَهنيًّا وشعبيًّا، كان لابن صغير لما عُرف به من رسوخ في الصنعة، وحُسن مباشرة، وتودّده للناس، بينما اعتُبر صدور قرار إشراك بديع بن نفيس مسألة شكلية أو سياسية لا تنعكس على الواقع الفعلي في الممارسة والتأثير. كما تعكس هذه الواقعة جانبًا من التنافس المهني داخل

(١) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٢١٦، ص٤٩٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٢١٦.

النظام الطبي المملوكي، وتُبرز مكانة علاء الدين ابن صغير الذي استطاع أن يحافظ على موقعه الفعلي كرئيس للطب في عيون أهل العلم والعامة بحسن الأسلوب والمعاملة الحسنة.

ثم توجه إلى حلب كي يكون في خدمة السلطان الملك الظاهر برقوق[١] (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م) [٢] الذي أرسله بدوره سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م ليعالج السلطان العثماني بايزيد بن مراد من مرض في مفاصله، حيث إن السلطان بايزيد العثمانى كان قد أرسل رسولا في ذي القعدة ٧٩٥هـ/أكتوبر ١٣٩٣م إلى السلطان الظاهر برقوق يسأله أن يبعث إليه بطبيب مختص بأمراض المفاصل فأرسل إليه رئيس الأطباء العلاء ابن صغير ومعه أدوية كثيرة لعلاجه[٣]، وبعد إتمام مهمته عاد إلى حلب حيث توفي يوم الجمعة ١٩ ذو الحجة سنة ٧٩٦هـ/أغسطس ١٣٩٤م أثناء مرافقته للسلطان الظاهر برقوق في حملة إلى حلب، ودفن بها ثم نقلته ابنته

---

(١) السلطان برقوق: الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص القائم بدولة الجراكسة، كان أصله مملوكًا ليلبغا العمري، وكان اسمه الطنبغا لكن الأمير يلبغا سماه برقوق لنتوء في عينه ، تولى السلطنة مرتين: الأولى في ٧٨٤هـ/١٣٨٢م حتى٧٩٠هـ/١٣٨٨م، والثانية في ٧٩٢هـ/١٣٩٠م وظل فيها حتى وفاته سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٤١.السيوطي: حسن المحاضرة ، ج٢، ص ١٢٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠. حيث كان قد سافر السلطان برقوق وعساكره إلى الشام لإقرار الأحوال في دمشق والقضاء على منطاش. ابن حجر: إنباء الغمر ، ج١، ص٤٧٠

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٤٦٢. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠، ج٧، ص١٠٢.

إلى مصر فدفنته بتربتهم[١]. حيث دُفن في تربة الأسرة، مما يعكس تقديرًا عائليًّا وشخصيًّا لمكانته وموقعه بين أعلام الطب.

(٤)- الطبيب جمال الدين بن صغير(توفي بعد عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م)

يُعد جمال الدين بن صغير من أطباء البلاط في العصر المملوكي في أواخر القرن الثامن الهجري ، وقد ارتبط اسمه بحادثة نادرة وردت في كتاب ابن حجر العسقلاني[٢]، إذ ورد أنه كان طبيبًا في خدمة السلطان الملك الظاهر برقوق في أوائل القرن التاسع الهجري.

وفي سياق أزمة صحية خطيرة ألمّت بالسلطان برقوق في صفر سنة ٨٠١هـ/نوفمبر ١٣٩٨م، حيث أصيب بإسهال مفرط وقيء شديد استمر من ليلة الثالث إلى العاشر من الشهر، تصاعدت الشائعات حول وفاته، مما خلق حالة من التوتر داخل البلاط. وفي خضم هذه الظروف، غضب السلطان على الطبيب جمال الدين بن صغير، وأمر بحبسه، على الأرجح ظنًا بإهمال أو خطأ طبي محتمل، وهو ما كان شائعًا في العلاقات المتوترة بين الأطباء والسلاطين في تلك العصور، خاصة حين تتدهور الحالة الصحية للحاكم.

ولا تُورد المصادر تفاصيل عن مدة الحبس أو عاقبته، لكن مجرد ذكر الحادثة في مؤلف رصين مثل إنباء الغمر، يُشير إلى مكانة هذا الطبيب في الديوان السلطاني، حتى وإن ارتبط اسمه بلحظة توتر أو أزمة سياسية طبية.

---

(١) ابن حجي: تاريخ ابن حجي، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج١، ص٨٤. المقريزي: السلوك، ج٥، ص٣٦١. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٨.

يستشف مما سبق أنه من المحتمل أن يكون جمال الدين أحد أحفاد أو أبناء الجيل الثالث من أسرة ابن صغير، نظرًا لتطابق الكنية والتوقيت. كما نلاحظ أن الطب في البلاط المملوكي كان محفوفًا بمخاطر سياسية، إذ يُحاسَب الطبيب أحيانًا على تدهور لا يملكه، كما في هذه الحالة.

(٥)- عبد الرحمن بن صغيّر (توفي بعد عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م)

هو الطبيب كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن محمد بن صغير.

يُعدّ كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن محمد بن صغير أحد أبرز أطباء عصره، وقد عُرف بكفاءته الطبية ومكانته الرفيعة في الوسط العلمي. أشار المؤرخ السخاوي إلى أن كمال الدين تولّى منصب رئاسة الطبابة في جمادى الآخر عام ٨٠١هـ/مارس ١٣٩٩م [١]، وهو ما يدلّ على مكانته المرموقة في المجال الطبي في الدولة المملوكية.

وقد شاركه في هذا المنصب الطبيب شمس الدين عبد الحق بن فيروز[٢]، حيث استقر الاثنان في رئاسة الأطباء، خلفًا لفتح الله كاتب السر، الذي كان يتولى هذا المنصب سابقًا[٣]. ويُظهر هذا التعيين مدى الثقة التي أولاها ولاة الأمر لهذين

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٢٥٤. وانظر: ابن شاهين: نيل الأمل، ج٣، ص١٩.

(٢)عبد الحق بن إبراهيم شمس الدين الطبيب والد الجمال عبد الله. ممن ولي رياسة الطب، شمس الدين بن عبد الحق بن فيروز والظاهر أن عبد الحق اسم أبيه واسمه محمد فهو محمد بن عبد الحق وإن كان ابنه سماه عبد الحق فهو لكونه اشتهر بابن عبد الحق. .السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٦ ترجمة رقم (١١٢).

(٣)المقريزي: السلوك، ج٥، ص٤٣٦. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٤٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٦. ابن شاهين: نيل الأمل، ج٣، ص١٩. أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص ٢٦٤.

الطبيبين، ويعكس أهمية الطبابة في البنية الإدارية والعلمية للدولة آنذاك.

(٦)- شمس الدين محمد بن صغيّر (٧٤٥-٨٢٣ هـ/١٣٤٤-١٤٢٠م)

هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الطبيب الفاضل شمس الدين بن صغير[١].

ولد في منتصف جمادى الأولى سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م بمكة وكان أبوه فراشاً، فمال إلى الطب وحفظ الموجز لابن نفيس وشرحه، وتصرف في معالجة المرضى، وصحب البهاء الكازروني وغيره من المتصوفة فمهر وتعلق بالزكي الخروبي التاجر وجاور معه بمكة فأجزل له من المال بحيث إنه دفع له مرة في مجاورته معه ألف مثقال ذهب هرجه دفعة. وتوفى في ١٠ شوال سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م بعد مرض طويل، وله من الآثار: شرح الموجز في الطب لابن النفيس[٢].

ذكره المقريزي وقال: كان يتردد إلي كثيراً وله ثروة وحسن المظهر، مات بعد مرض طويل في عاشر شوال سنة ثلاث وعشرين؛ ثم ساق عنه أشياء جملتها أنه رأى في مباشرته المرستان شاباً حسن الهيئة جميل الصورة غل في عنقه بسلسلة فقال له: ما حالك فأنشده:

يعانـــدي دهـــري كـــأني عـــدوه *** وفـــي كـــل يـــوم بالكـــريهة يلقـــاني

فـإن رمـت شـيئاً جـاءني منـه ضـده *** وإن راق لـــي يومـــاً تكـــدر فـــي الثـــاني [٣]

---

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٣١٣.

(٢) سليم عبابنة: معجم أعلام الطب، ترجمة رقم (١٤٣٦) ص٣٠١. أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية (مصر وبلاد الشام والحجاز) ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، ص٨٦.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٣١٣.

(٧)- الشمس أبو عبد الله بن صغير[١](٧٥٥-٨٣٩هـ/١٣٥٤-١٤٣٥م)

هو محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن صغير، الشمس أبو عبد الله بن العلاء أبي الحسن، القاهري الحنبلي الطبيب مارس في البيمارستان بالقاهرة في خدمة سلاطين المماليك، وهو والد الكمال محمد بن صغير، وابن الرئيس العلاء علي بن صغير[٢].

يُعد الشمس محمد من أبرز أعلام أسرة ابن صغير الطبية، وقد ورث تقاليدها العلمية والطبية المتينة من أبيه العلاء وورَّثَها لابنه الكمال محمد، ليُمثّل في زمانه نموذجًا متكاملًا للطبيب المتقن، المعالج، والمعلّم، وُلد في القاهرة في أسرة عُرفت بالتوارث العلمي، وتخصّص في الطب والصناعة الطبية، حتى شهد له علماء عصره بالإتقان والتفوّق، فقيل عنه أنه " تميّز في الطب، وعالج، وتدرّب به جماعة "[٣]، مما يشير إلى نشاطه العملي في مداواة المرضى، إلى جانب دوره في تدريب طلبة الطب، وهو ما يعكس تكامله بين الجانبين النظري والتطبيقي.

---

(١) مصادر الترجمة: السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩٠. ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، لمريد معرفة الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٣، ص١٣١٨ ترجمة رقم(٢١٥٣). ابن حُمَيْد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٣، ١٠١٥. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ، ص١٦٢.

(٢)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩٠. ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٣١٨. ابن حُمَيْد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ٣، ١٠١٥.

(٣)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩٠. ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٣١٨.

عمل الشمس طبيبًا رسميًّا في البيمارستان، وكان من أطباء الدولة في خدمة السلطان مباشرة[١]، وهي وظيفة لم تكن تُمنح إلا للأطباء ذوي الكفاءة العالية والسمعة الطيبة. كما ألّف كتابًا في الطب يُدعى "الزُّبد في الطب [٢]"، وهو مصنَّف وُصف بأنه خلاصة علمية مختصرة، قام ابنه الكمال محمد بن صغير بعرضه لاحقًا على الشيخ العز بن جماعة وغيره من العلماء[٣]، مما يعكس حرص الأسرة على تداول المعرفة الطبية في إطارها الأسري والعلمي.

وقد نال شمس الدين ثناءً كبيرًا من معاصريه، فيذكر السخاوي أن العز بن جماعة قد وصفه في إجازة ابنه الكمال بقوله: " الشيخ القدوة، العمدة، الكامل الفاضل، العالم المتقن، المتفنّن". كما وصفه أبو الفتح الباهي بأنه: الشيخ الإمام الرئيس، البالغ من الكمالات النفسانيّة مبلغًا لا يُحد، والحائز من الفضائل أنواعا لا تُعد. [٤]"

---

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩١.ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٣١٨. وتجدر الإشارة إلى أنه عاصر ما يقارب من خمسة عشر سلطانا مملوكيا منهم خمسة سلاطين من المماليك البحرية .

(٢)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩١. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٦٢.

(٣)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩١. ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٣١٨. وقد عرض ابنه هذا الكتاب في جملة محافيظه على ابن جماعة وغيره في سنة ٨١٦ كما سيأتي ذكره في ترجمة ابنه الكمال.

(٤)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩١. وانظر نقلا عن السخاوي : ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٣١٨. ابن حُمَيْد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ٣، ١٠١٥.

توفّي رحمه الله في القاهرة سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م عن عمر ناهز ٨٤ عامًا[١]، بعد مسيرة حافلة بالعلم والخدمة الطبية، والتأليف والتعليم، مخلّفًا أثرًا واضحًا في أوساط الطب في الدولة المملوكية.

ومما سبق يتضح أن شمس الدين يُمثّل نموذجا للطبيب الموسوعي الذي لم يكتفِ بالممارسة، بل أسهم أيضًا في التأليف والتدريس، كما أنه تعاقب ذكره في مصادر مثل الضوء اللامع وكتب العلماء يثبت قوة حضوره في الذاكرة العلمية المملوكية. هذا فضلا عن أن كتابه "الزُّبد" وإن لم يصلنا كاملًا، إلا أن عرضه على كبار العلماء يدل على قيمته، ويُظهر دور الأسرة في نقل المؤلفات وتوارثها علميًا بين الأجيال.

(٨)- الكمال محمد بن صغير (٧٨٥-٨٩١ هـ/١٣٩٣-١٤٨٦م)

هو كمال الدين محمد بن محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير، الطبيب كمال الدين بن شمس الدين بن علاء الدين ابن صغير القاهري الحنبلي، يُعدّ من كبار الأطباء في العصر المملوكي المتأخر، وواحدًا من أبرز أحفاد رئيس الأطباء علاء الدين ابن صغير، ومن أعلام أسرة ابن صغير الطبية التي توارثت الطب جيلًا بعد جيل، ويعرف أيضا بابن صغير كجده[٢].

نشأ الكمال في بيت علم وصناعة، فحفظ القرآن الكريم ، ومتونًا علميةً وفقهيةً وأدبية منها "العمدة" و"الخرقي" في الفقه، و"ألفية ابن مالك" في النحو، و"الموجز في الطب" لابن النفيس، و"اللمحة العفيفة في الأسباب والعلامات" في الطب و"فصول أبقراط" وتقدمة المعرفة و"تشريح الأعضاء"، كما حفظ مؤلّف والده الموسوم بـ " الزُّبد

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩١.

(٢)السخاوي: الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع ج٦، ص١٢٦. معجم الأطباء لأحمد عيسى، ص٤١٠.

في الطب "، وقد عرض هذه الكتب في سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م [١]على العالم المعروف العز بن جماعة وغيره، فنال منهم الإجازة العلمية "وتعانى الطب"[٢].

تلقّى الطب وتعلمه على يد والده، كما تتلمذ كذلك على يد العز بن جماعة، وتميّز في هذا الفن حتى صار يُدرّب غيره من الطلبة، مما يدل على تمكّنه النظري والعملي. وقد مارس الطب لعقود طويلة فقد "عالج المرضى دهرا "، وتولّى العمل في بيمارستان قلاوون بالقاهرة، وتخصّص في الكُحّالة (طب العيون)، كما شغل منصبًا طبيًّا في تربة السلطان برقوق.

رافق الكمال ابن صغير الركب السلطاني إلى آمد[٣] ضمن بعثة طبية، وكان رفيقًا لعدد من الأطباء تحت رئاسة طبيب الدولة، وهو ما يدل على مكانته المهنية. وقد حجّ غير مرة، وجاور بمكة، مما يعكس ملامح شخصيته الدينية والاجتماعية. وفي أواخر حياته كفّ بصره ثم أقعد عن الحركة، وظل على هذا الحال حتى وافاه الأجل بالقاهرة في شهر صفر سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، عن عمر ناهز ستًّا وتسعين سنة[٤].

---

(١) يذكر ابن حميد أنه قد عرض هذه الكتب على العز بن جماعة سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م وليس سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م. ابن حُمَيْد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ج٣، ص١٠٦٩.

(٢)ابن عثيمين: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، ج٣، ص١٤٢٤ ترجمة رقم(٢٣٧٣). سليم عبابنة: معجم أعلام الطب، ترجمة رقم (١٤٤٢) ص٣٠٢. ابن حُمَيْد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ج٣، ص١٠٦٩.

(٣) آمد: بلد بالجزيرة في الإقليم الخامس على نهر دجلة، وهو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود، أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرًا، وينسب إليها كثير من أهل العلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج١ ص٥٦ ص٥٧.

(٤)ابن عثيمين: تسهيل السابلة ، ج٣، ص١٤٢٤ . سليم عبابنة: معجم أعلام الطب، ترجمة رقم (١٤٤٢) ص٣٠٢.

له مؤلّفات طبية، من أبرزها: كتاب عن "تشريح الأعضاء"(الزُّبد في الطب) وهو أيضًا من تأليف والده، ويُحتمل أن يكون قد عمل عليه تحقيقًا أو اختصارًا.

تُظهر ترجمته بأنه لم يكن طبيبًا ممارسًا فحسب، بل شغل موقعًا رسميًّا ضمن البنية الطبية للدولة بدليل اشتراكه في الوفود الطبية السلطانية، هذا إلى جانب اختياره للعمل في الكُحّالة ببيمارستان قلاوون يُبرز اهتمامه بالتخصص الدقيق، وهو أمر نادر في ذلك العصر، حيث كان معظم الأطباء يجمعون بين فروع الطب.

(٩)- محمد بن محمد بن أحمد بن صغير(توفي بعد ٨١٦هـ/١٤١٣م)

هو الطبيب محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن صغير والده الطبيب شمس الدين محمد بن صغيّر (٧٤٥-٨٢٣ هـ/١٣٤٤-١٤٢٠م)، ذكر السخاوي أنه كان من الذين عرض عليهم الكمال محمد بن محمد بن علي بن صغير كتاب "الزبد في الطب" سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م[١]. وهو ما يدل على مكانة هذا الطبيب العلمية، واعتباره من أهل الخبرة المؤهلين لفحص أو مراجعة هذا العمل الطبي.

وبالرغم من محدودية المعلومات المتوفرة عن هذا الطبيب في كتب التراجم، إلا أن مجرد ذكر اسمه ضمن النخبة العلمية التي عُرض عليها كتاب "الزبد في الطب" يدل على مكانته المهنية والعلمية، ويُفهم من هذا الحدث أنه كان من أهل الخبرة والاطلاع، بحيث يُرجع إليه في مراجعة النصوص الطبية.

كما أن غياب تفاصيل موسّعة حول حياته أو مؤلفاته يعكس أحد الإشكالات الكبرى في دراسة التاريخ العلمي الإسلامي، حيث طغت شهرة المؤلفين على الممارسين، وتُركت شريحة واسعة من العلماء الذين ساهموا في استمرار المعرفة دون أن يُوثقوا توثيقًا كافيًا.

---

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٥ ترجمة ٢٠.

ويُحتمل أن محمد بن محمد كان يعمل ضمن السياق المؤسسي للطب في العصر المملوكي، سواء في البيمارستانات أو ضمن جهاز الدولة، ما جعله أقرب إلى "الطبيب التنفيذي" أو الممارس المعتمد، وليس بالضرورة المؤلف أو المُدرّس. وتُبرز هذه الفرضية الدور الجماعي للأسر الطبية مثل آل ابن صغير، الذين لم يكن تميزهم فرديًا بقدر ما كان مؤسسيًّا وعائليًّا.

(١٠)- عمر بن صغير (توفي ٨٦٧ هـ/١٤٦٢م)

الطبيب عمر بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن صغير، المعروف بالسراج بن البدر بن ناصر الدين بن الرئيس العلاء ابن صغير[١]، يُعدّ من أعلام الجيل المتأخر من أسرة "ابن صغير" الطبية. وهو حفيد الرئيس علاء الدين بن صغير، وابن عم الطبيب الشمس محمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن عبد الواحد بن صغير، ومن أقارب الطبيب الكمال ابن صغير[٢]، مما يدل على عمق الامتداد العائلي للأسرة في مجال الطب.

تلقّى عمر ابن صغير صناعة الطب على يد عمه، كما درس على يد العز بن جماعة، أحد الأعلام المعروفين في زمنه، وصحب أيضًا البدر الطنبدي، مما وفّر له تكوينًا علميًّا رصينًا ومتنوعًا. وقد برز في ميدان المعالجة، وتصدّر مجال الطب في زمانه، حتى استقر به المقام في رئاسة الطب بعد توسيط خضر وابن العفيف[٣]، وهو منصب رفيع يدل على التمكّن والسمعة العلمية الواسعة.

---

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٥ .

(٢)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٥ .

(٣)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٦ .

كان ظريفا لطيف العشرة، ابتُلي في أواخر عمره بذهاب بصره، ثم قُدح له – أي عولج – فعاد إليه بصره، وذلك بعد أن تجاوز السادسة والتسعين من عمره، مما يُشير إلى طول عمره ونشاطه العلمي الممتد. وقد توفّي رحمه الله في محرم سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م[١].

وتُعدّ سيرته مثالاً على استمرار تقاليد التعلّم والتوريث المهني داخل الأسرة، وعلى المكانة العلمية التي حافظت عليها الأسرة الطبية لقرون في البيئة المملوكية.

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٥ . ويستطرد السخاوي بأنه وصل إلى هذا السن وما شابت له شعرة ولم يتيسر له الحج.

المبحث الثالث: الدور الحضاري والعلمي لأسرة ابن صغير:

تمثل أسرة "ابن صغير" إحدى النماذج البارزة للأسر العلمية التي لعبت دورًا محوريًا في تاريخ الطب الإسلامي، وخصوصًا في مصر خلال العصر المملوكي، إذ لم يقتصر إسهام هذه الأسرة على الجانب العلاجي وحده ولم يكن حضورها مقتصرًا على التطبيب فقط، بل امتد أثرها الحضاري إلى التعليم، والتأليف، وخدمة الدولة، والتأثير في الثقافة العامة، حتى غدت مثالًا مكتمل الأركان على ما يمكن أن يُطلق عليه "المدرسة الطبية العائلية". ويمكن تلخيص هذا الدور في الآتي:

أولًا: الدور السياسي لأطباء الأسرة

علاقة أسرة ابن صغير بالسلطة وتولّي أفرادها المناصب الطبية الرفيعة

شكّلت أسرة ابن صغير نموذجًا بارزًا لارتباط النخبة الطبية بالسلطة في العصر المملوكي، إذ كان لهذا البيت العلمي حضورٌ قويٌّ في الديوان السلطاني، وعلاقات وثيقة بسلاطين المماليك وأمرائهم. وتُظهر تراجم الأطباء المنتمين إلى هذه الأسرة مدى الثقة التي أولتها الدولة لكفاءتهم، وهي ثقة كانت تتجدد مع تعاقب العهود، مما أضفى على حضور الأسرة طابعًا مؤسسيًّا نادرًا في تاريخ الطب الإسلامي.

كان الطبيب ناصر الدين صغير من أوائل رموز هذا التداخل، حيث شغل موقع الطبيب الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ورافقه في رحلته إلى الحج سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، في دلالة واضحة على رفيع منزلته وحجم الثقة الممنوحة له. ولم تتوقف مهماته عند حدود القاهرة، بل تم استدعاؤه إلى بلاد الشام لعلاج أحد الأمراء الكبار(١)، وهو ما يعكس مدى مكانته الرسمية في الدولة، واعتماد السلطة عليه في الحالات الطبية الحرجة.

---

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص١٨١.المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٩٨.

وتتضح أبعاد العلاقة بالسلطة أيضًا في سيرة الطبيب فرج الله ابن صغير، الذي انفرد بمهمة تطبيب نساء الحرم السلطاني[١]، وهي وظيفة على قدر عالٍ من الحساسية لا تُمنح إلا لأصحاب الخبرة والأمانة، لا سيما أن العادة جرت على تداول الأطباء لمهام القصر بالتناوب، وهو ما لم يُطبق في حالته.

أما الطبيب علاء الدين علي بن صغير، فقد بلغ ذروة المكانة الطبية الرسمية، حين أُسندت إليه رئاسة أطباء الديار المصرية، المنصب الأعلى في سلم التنظيم الصحي المملوكي، والذي خوّله لاحقًا تمثيل الدولة المملوكية خارجيًّا، حين أُوفد إلى السلطان العثماني بايزيد بن مراد لمعالجته[٢]. وقد شكّل هذا الحدث لحظة مفصلية في التاريخ الطبي الإسلامي، حيث تحوّل الطبيب من معالج داخل الدولة إلى سفير طبي للدولة المملوكية في العالم الإسلامي، يحمل معه صورة مهنية وحضارية متقدمة للمدرسة الطبية المصرية.

وقد توالت بعده الشخصيات التي تولّت هذا المنصب، ومنهم الطبيب كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن صغير، الذي ترأس الطبابة سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م، ضمن نموذج الإدارة الثنائية، ما يدل على تزايد أهمية هذا المنصب وحساسيته في ظل تطور الدولة ومؤسساتها الصحية.

غير أن هذا القرب من السلطة لم يكن يخلو من المخاطر، فقد شهدنا في حالة الطبيب جمال الدين ابن صغير كيف تحوّلت العلاقة الوثيقة بالسلطان إلى لحظة عصيبة، حين اتُّهم بالتقصير عقب وعكة صحية للسلطان الظاهر برقوق، وأُودع

---

(١) أحمد مصطفى خليل: النهضة الطبية في مصر المملوكية ، ص٨٧.

(٢)ابن إياس: بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٤٦٢. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠، ج٧، ص١٠٢.

السجن[١]. ويُظهر هذا الحدث حساسية العلاقة بين الطبيب والحاكم، إذ كان أطباء البلاط معرضين للمساءلة وربما العقاب إذا تدهورت صحة السلطان، ولو كان ذلك خارج إرادتهم، ما يجعل وجود الطبيب في الديوان السلطاني محفوفًا بالمخاطر بقدر ما هو محفوف بالهيبة.

وتجلّى استمرارية هذا الارتباط في الجيل التالي، من خلال الطبيب الشمس أبو عبد الله محمد بن صغير، الذي خدم في الديوان السلطاني وورّث ابنه هذا الموقع، في صورة متكررة من "الوراثة السياسية المهنية"، بينما شارك الطبيب الكمال محمد بن صغير في بعثة طبية سلطانية إلى آمد[٢]، بما يعكس ثبات موقع الأسرة ضمن طاقم النخبة الطبية المكلفة بالمهام الحساسة خارج الدولة.

وقد يُظن أن من لم يتولّ منصبًا رسميًّا، مثل الطبيب محمد بن محمد بن أحمد بن صغير، كان بعيدًا عن السلطة، غير أن مشاركته في مراجعة "الزُّبد في الطب" تدل على أن تأثير الأسرة امتد إلى النخبة المعرفية التي تُؤتمن على العلوم، وهو شكل آخر من أشكال العلاقة بالسلطة المعرفية، لا يقل أثرًا عن السلطة السياسية.

ويُمثّل الطبيب عمر بن صغير تتويجًا لهذا الحضور، إذ تولّى رئاسة الطب في أواخر العصر المملوكي، بعد وساطات سياسية، ليُغلق السلسلة بامتياز، ويُظهر كيف حافظت الأسرة على موقعها القيادي في المنظومة الصحية للدولة حتى أفول العصر.

لقد جسّدت أسرة ابن صغير، في علاقتها بالسلطة وتوليها المناصب العليا، نموذجًا متماسكًا من الأداء المؤسسي والعلمي، ما يجعلها من النماذج الرفيعة التي تتقاطع فيها السياسة بالطب، والسلطة بالعلم، والخدمة بالريادة.

---

(١)ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص ٣٨.

(٢)ابن عثيمين: تسهيل السابلة ، ج٣، ص١٤٢٤ . سليم عبابنة: معجم أعلام الطب، ترجمة رقم (١٤٤٢) ص٣٠٢.

ثانياً: الدور الثقافي والعلمي لأطباء الأسرة (المعرفة، التعليم، والتوريث المهني)

تُجسّد أسرة ابن صغير مثالًا حيًّا على الدمج الخلّاق بين الطب كمهنة والثقافة كهوية معرفية، إذ لم يكن حضورهم مقتصرًا على الممارسة العلاجية، بل امتد إلى التأليف، والتعليم، مما جعلهم ركنًا أساسيًّا في المشهد العلمي والطبي للعصر المملوكي، ويبدأ هذا الدور من اللحظة التي انتسب فيها فرج الله بن صغير إلى مدرسة ابن النفيس، كأحد تلامذته المباشرين، وهو ما يُعد نقطة محورية في انخراط الأسرة ضمن تيار المدرسة الطبية المملوكية، وبالتالي تشرّبهم المنهج العلمي المتكامل الذي كانت تمثله هذه المدرسة، وقد عكس فرج الله هذا الانتماء من خلال أسلوبه الإنساني في العلاج، ووعيه النفسي والاجتماعي المتقدم، كما تشهد بذلك حكاياته العلاجية الدقيقة.

ومن جهة أخرى، يرمز تعريب لقب العائلة من "كوجك" إلى "ابن صغير" إلى اندماج ثقافي واسع في بنية المجتمع العربي الإسلامي، فكان هذا التحوّل اللغوي والثقافي إعلانًا عن تبنّي منظومة القيم والمعارف الإسلامية، واعتناق الهوية العلمية الجديدة التي قامت على العلم واللسان العربي.

وقد مثّل ناصر الدين بن صغير نموذجًا للطبيب المثقف، فهو لم يكتفِ بالطب، بل تعلم الأدب على يد علاء الدين القونوي، حتى وصف بأنه "صاحب ثقافة الحكماء"، وجُمعت في شخصيته صفات العالم والظريف، الطبيب والموسيقي، مما يُظهر اتساع الرؤية الثقافية للأسرة، وسعيها إلى تجاوز الإطار الضيق للمهنة نحو الفضاء الأوسع للمعرفة الإنسانية.

كما كان علاء الدين بن صغير معلمًا مؤثرًا وموسوعيًا بحق، حيث تتلمذ على يديه كبار العلماء، وتبنّى منهجًا علاجيًّا أخلاقيًّا قائمًا على مراعاة اختلاف أحوال الناس،

وهو ما يدل على عمق الوعي الاجتماعي والثقافي لديه، كما يدل تأليفه لكتاب "الزُّبد في الطب" على انخراط الأسرة في تدوين التراث الطبي ونقله للأجيال.

ويتضح أن شمس الدين محمد بن صغير لم يكن مجرد طبيب ممارس، بل كان شارحًا لكتب الطب الكبرى مثل "الموجز"، وعُرف بتداخل ثقافته الطبية مع التجربة الصوفية، مما يُبرز طابعًا خاصًا للمعرفة الطبية المتداخلة مع الحكمة والروح. أما الشمس أبو عبد الله فقد رسّخ هذا النهج التعليمي والتأليفي، بتأليفه "الزبد" وتدريبه لطلبة الطب، ما جعل الأسرة مركزًا للتوريث العلمي والتدريب الأكاديمي.

ويبرز الكمال بن صغير كأحد أعلام هذا المشروع المعرفي، فقد جمع بين التعليم والممارسة، وتخصص في الكحّالة (طب العيون) [1]، وهو تخصص دقيق يدل على نزوع معرفي نحو التخصصية، كما عرض مؤلفات والده على كبار العلماء ونال عليها إجازات علمية معتبرة، ما يثبت تكامل التكوين العلمي لديه.

أما أفراد الأسرة مثل محمد بن محمد بن أحمد بن صغير، فرغم غياب مؤلفاتهم، إلا أنهم كانوا جزءًا من شبكة المراجعة والتقويم العلمي، وشاركوا في فحص الأعمال الطبية، ما يعكس دورًا معرفيًّا خفيًّا لكنه محوري في دعم البناء العلمي، كما يُعد عمر ابن صغير من أكثر الأمثلة دلالة على استمرارية هذا النهج، إذ احتفظ بمكانته العلمية حتى بعد فقد بصره، واستمر في التعليم والتدريب حتى أواخر عمره، ما يدل على حيوية العلم في شخصه، وعمق الارتباط بين المعرفة والرسالة المهنية لدى الأسرة.

---

(١)السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٢٥٤. ابن عثيمين: تسهيل السابلة، ج٣، ص١٤٢٤. سليم عبابنة: معجم أعلام الطب، ص٣٠٢. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٦٣.

أما عن التوارث العلمي والمعرفي بين أفراد الأسرة، فلقد تميّزت أسرة ابن صغير بتوارث العلم والمعرفة بين الأجيال، فقد تتلمذ الأبناء على الآباء، وتدرّبوا في البيمارستانات، ثم أصبحوا أساتذة لغيرهم، فكونوا حلقة تعليمية داخلية، جمعت بين التلقين، والتدريب العملي، والتأليف، ومن أبرز الأمثلة الواضحة على ذلك: الشمس محمد بن علي بن صغير الذي مارس الطب في البيمارستان، ودرب الطلبة، وألف كتاب "الزُّبد في الطب."[١]، والكمال محمد بن صغير: تلقى العلم من والده، وشارك في بعثات طبية، وتخصص في الكحالة طب العيون، وعمر بن صغير: تعلم على يد عمه، ثم تولى رئاسة الطب[٢]. إن هذا التوارث العلمي داخل الأسرة يجعل منها نواة حقيقية لما يمكن تسميته بـ"المدرسة الطبية العائلية."

ثالثاً: الدور الاجتماعي (حضور الأسرة وتأثيرها في المجتمع المملوكي)

لم تكن أسرة ابن صغير مجرد أسرة طبية بارزة في العصر المملوكي، بل كانت أيضًا نموذجًا اجتماعيًّا يعكس الطبقة المثقفة التي جمعت بين الحضور العلمي والتأثير المجتمعي. وقد امتدت مكانة هذه الأسرة من أروقة البيمارستانات إلى قلب المجتمع المدني، وشكلت ركيزة في شبكة العلاقات الحضرية، بفضل تميزها في الطب، واتساع علاقاتها بالنخبة، وتراكم رأس مالها الرمزي والمادي عبر الأجيال.

ولعلّ أبرز ما يعبّر عن مكانة هذه الأسرة الاجتماعية هو وجود "دار ابن صغير" بجوار المارستان المنصوري، أحد أهم المراكز الطبية في القاهرة المملوكية. فامتلاك دار تحمل اسم العائلة في قلب القاهرة السياسية والطبية، يدلّ على رسوخها

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٩٠، ١٩١. أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص١٦٢.

(٢)السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٢٥ .

الاجتماعي، ومكانتها الرفيعة، كما يعكس اندماجها الكامل في النسيج المصري بعد أن كانت من أصول وافدة.

وقد عبّر الطبيب ناصر الدين محمد بن صغير عن هذا التمايز الطبقي بوضوح، حين سخر من الصورة النمطية للطبيب الشعبي، مشيرًا إلى أن نساء القاهرة لا يطمئنن إلا لطبيب "يهودي، مائل الرقبة، سائل اللعاب"، في تهكم لاذع على صورة الطبيب التقليدي، مؤكدًا في المقابل وضعه الاجتماعي داخل الطبقة العليا، التي لا تُعالج سوى أهل السلطان والمقرّبين. كما عُرف ناصر الدين بطباعه المرحة، وعشقه للعزف والمزاح، وهو ما يعكس طبيعة الطبيب المثقف في المجتمع الحضري، الذي يجمع بين العلم والفن، بين النخبة والناس، بعيدًا عن الجدية الجامدة التي تصاحب صورة الطبيب عادة.

أما أبو الفرج بن صغير، فقد جسّد صورة الطبيب الإنساني بامتياز، إذ لم يقتصر عمله على البلاط السلطاني، بل تجاوزه إلى معالجة العامة، وسُجلت له مواقف تعكس حسًّا إنسانيًّا عاليًا، أبرزها حرصه على تعديل الدواء والغذاء ليتناسب مع مزاج المرضى[١]، وهو ما جعله محل احترام بين زملائه وتقدير لدى العامة، ومثل هذا السلوك يعكس عمق العلاقة الاجتماعية التي نسجها مع مجتمعه، وتماهيه مع هموم الناس رغم مكانته الرفيعة.

ويتجلّى البعد الاجتماعي بشكل أوضح في شخصية علاء الدين علي بن صغير، الذي لم يكن فقط رئيسًا للأطباء، بل أيضًا نموذجًا للرجل النبيل الكريم، الذي سخّر جزءًا من ثروته – التي بلغت خمسة آلاف دينار – للقرض الحسن للفقراء، بلا

(١)العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٩، ص٦٢٥.

استغلال[١]. هذا العمل الإنساني النادر، في زمن شاع فيه الاتجار بالدواء، يكشف عن التزام أخلاقي واجتماعي يعكس روح الطب الإسلامي في أبهى صوره. كما أن نقله من حلب إلى القاهرة ليدفن في تربة العائلة بيد ابنته، يبرز مكانته داخل أسرته، ومدى التقدير الذي ناله حتى بعد وفاته.

ولم يكن غريبًا أن تتكرر أسماء أبناء الأسرة في مؤلفات التأريخ الطبي، حتى في الحوادث السياسية، كما في حالة الطبيب جمال الدين بن صغير، إذ يظهر ذكره في سياق أزمة صحية حادة للسلطان برقوق، وهذا يكشف عن الحضور الرمزي للأسرة، التي كانت تُستدعى أسماؤها في لحظات التوتر أو الخطر، مما يعكس مكانتها في الوعي المجتمعي.

أما شمس الدين محمد بن صغير، فقد عاش بمكة وكان من أهل الوجاهة وحُسن المظهر، وجاور كبار التجار مثل الزكي الخروبي، وتلقى دعمًا ماليًّا سخيًّا منهم، وهو ما يدل على قوّة علاقته بطبقة التجار والعلماء، وعلاقته الإنسانية بالمرضى تظهر في موقفه الشعري مع أحدهم، ما يُبرز البُعد العاطفي الرفيق في ممارسته الطبية.

ويُعد الشمس أبو عبد الله بن صغير من أبرز الأطباء الذين جمعوا بين السمعة العلمية والتقدير المجتمعي، إذ نُعت بلقب "الشيخ الإمام الرئيس"، وعُرف بسعة فضله ودماثة خلقه، مما منحه حضورًا متينًا بين الطبقة الرفيعة والعامة في آن واحد. وتكرّس هذا الحضور الاجتماعي من خلال ابنه الكمال بن صغير، الذي لم يكن مجرد طبيب في بيمارستان قلاوون، بل صاحب شخصية متوازنة، تمزج بين التدين والطب،

---

(١)ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨٢. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٤-٩٥. وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٤٠. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩١.

وبين التواضع والمكانة، وظل موصولًا بمجتمعه رغم إصابته بالعمى والشلل في أواخر عمره.

وفي سياق متصل، تبرز قيمة الطبيب محمد بن محمد بن أحمد بن صغير، رغم قلة التفاصيل حوله، كأحد أعضاء الجهاز المعرفي للأسرة، مما يدل على أن التأثير الاجتماعي للأسرة لم يكن مقصورًا على من تصدّروا المشهد، بل كان جماعيًا ومؤسسيًا.

أما الطبيب عمر ابن صغير، المعروف بالسراج ابن البدر، فقد جمع بين الطب والظرافة، وكان لطيف العشرة، حسن الطبع، واشتهر بطول عمره، حتى قارب المئة، ما جعله بمثابة شاهد على تطوّر الطب المملوكي، وركن من أركان الذاكرة الطبية والاجتماعية في آن واحد.

رابعاً: أسرة ابن صغير في المنظومة الإدارية

شكّلت أسرة ابن صغير ركيزة أساسية في البناء الإداري للطبابة في الدولة المملوكية، فقد انخرطوا بفاعلية في إدارة المؤسسات الصحية الكبرى، فغدت الطبابة لديهم وظيفة مؤسسية مرتبطة بالبنية الرسمية للدولة، خاصة في مراكز الطب الكبرى كالقاهرة وبيمارستانها المنصوري.

ويُعد الطبيب علاء الدين علي بن صغير أبرز مَن تجسّد فيه هذا الحضور الإداري، إذ شغل منصب رئيس أطباء مصر، وهو المنصب الأعلى في هرم التنظيم الصحي، ما جعله قائدًا فعليًا للجهاز الطبي، يجمع بين التخطيط والإشراف، ويُعبّر عن مكانة أسرته في قلب الإدارة الطبية السلطانية.

كما يبرز الدور الإداري المرن للأسرة في شخصية ناصر الدين بن صغير، الذي استُدعي على وجه السرعة من القاهرة إلى حلب لعلاج أحد الأمراء، ثم أقام في مدرسة الدنيسري بدمشق لمباشرة المرضى، وهو ما يعكس طبيعة النظام الإداري المملوكي القائم على الانتداب الطبي عند الحاجة، وقدرة أطباء الأسرة على القيام بأدوار تنظيمية وتنفيذية في ظروف طارئة.

وفي السياق ذاته، يُظهر مسار الطبيب فرج الله بن صغير صورة متكاملة للتكوين المؤسسي داخل المنظومة الطبية، إذ بدأ تدريبه على يد والده، ثم تابع دراسته في مدرسة ابن النفيس، فارتقى تدريجيًّا من تخصص الكحل إلى التطبيب العام، وفق نظام تدريبي صارم يربط بين التأهيل والممارسة، ويُعد مثالًا حيًّا على إدماج الأطباء في النظام المهني الرسمي من خلال سلالم الترقية والمزاولة.

واستمرارا للدور الإداري للأسرة، فقد تولّى الكمال بن الصغير رئاسة الطبابة إلى جانب طبيب آخر، في نموذج يعكس الأسلوب الإداري المشترك بين أعلام الأسر الطبية، وهو ما يكشف عن هيكل تعاوني يُراعي توازن القوى العلمية، ويُبرز مكانة الأسرة ضمن الطبقة العليا للإدارة الصحية في الدولة.

ويُعد وجود جمال الدين بن صغير ضمن الفريق الطبي المُكلّف بعلاج السلطان الظاهر برقوق مؤشرًا آخر على اندماج الأسرة في الإدارة الطبية، حتى وإن لم توضح المصادر رتبته بدقة، فإن وجوده ضمن طاقم القصر يبرز الثقة به كمكوّن فاعل في الجسد الإداري الطبي.

كما امتد الدور الإداري للأسرة إلى خارج القاهرة، فكان للطبيب شمس الدين محمد بن صغير حضور فعلي في البيمارستانات الرسمية، وهو ما تؤكده ألقابه العلمية الرفيعة مثل "الشيخ الإمام الرئيس"، وهي ألقاب تُمنح عادة لأصحاب المناصب العليا ممن يجمعون بين المهارة والخبرة والتنظيم.

ويأتي مسك الختام مع الطبيب عمر ابن صغير، الذي تولّى رئاسة الطب في أواخر العصر المملوكي بعد وساطة كبار رجال الدولة، ما يدل على استمرار تأثير الأسرة في التنظيم الطبي الرسمي حتى المراحل المتأخرة من الدولة. لقد مثّل هذا التعيين تتويجًا لدور الأسرة الإداري، ودليلًا على الثقة المتوارثة التي منحتها السلطة لأبنائها جيلاً بعد جيل..

سادسا: الأعمال الخيرية لأسرة ابن صغير:

لم يقتصر أثر أسرة ابن صغير على الجوانب الطبية والعلمية فحسب، بل امتد ليشمل مجال البرّ والإحسان، وهو ما يظهر بجلاء في سيرة علاء الدين علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير، أحد أبرز أعلام الأسرة. فقد ذكره ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة مشيرًا إلى حرصه على العمل الخيري، حيث قال: " وكان له مال قدر خمسة آلاف دينار قد أفرده للقرض، فكان يقرض من يحتاج إلى ذلك برهن من غير استفضال بل ابتغاء للثواب"(١). ويُلاحظ من هذه الشهادة أن الطبيب علاء الدين لم يكن يتعامل مع المال من باب التجارة، بل من منطلق ديني وأخلاقي، إذ جعل من ثروته وسيلة لمساعدة المحتاجين دون أرباح أو فوائد، بل بنية طلب الأجر.

كما ذكر أنه كان يصف الدواء للموسر بأربعين ألفًا، وللمعسر بفلس واحد(٢)، وهو ما يعكس عدالته ووعيه الطبقي والمهني، حيث حرص على مراعاة الفروقات الاجتماعية دون أن يُقصي المريض أو يُجحف بحقه في العلاج.

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١. الدرر الكامنة، ج٤، ص٩٤.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٨١..

تُظهر هذه المواقف أن العمل الخيري كان متجذرًا في سلوك الأسرة، ومرتبطًا بممارستهم الطبية، في نموذج يجمع بين العلم والرحمة، ويعكس جانبًا من أخلاقيات الطب الإسلامي في العصر المملوكي.

ولعل القارئ يسأل في قرارة نفسه ما هي أسباب نبوغ هذه الأسرة وتميزهم واستمرار تأثيرها على مدى قرون؟

لقد كشفت لنا الدراسة عن مجموعة من الأسباب التي يمكن تلخيصها في الآتي:

١. الاستمرار في التوارث العلمي المنتظم عبر الأجيال، مما شكّل سلسلة تعليمية محكمة داخل الأسرة.
٢. البيئة العلمية الخصبة فقد نشأت الأسرة في ظل بيئة مملوكية اهتمت بالعلوم والطب، ووفرت رعاية رسمية للمتميزين، مما أتاح لهم فرص الترقي العلمي والاجتماعي.
٣. دمج النظرية بالممارسة، من خلال الجمع بين التأليف، والتدريس، والتطبيب.
٤. المرونة الاجتماعية والثقافية التي مكنتهم من التفاعل مع جميع فئات المجتمع من السلطان إلى العامة.
٥. الالتزام بالسلوك المهني والعدالة في المعالجة، فكانوا يراعون حال المريض المادي دون تمييز.
٦. الاستثمار في العلاقات العلمية، من خلال الاتصال بكبار العلماء والأطباء والمؤسسات الرسمية.
٧. الوعي الحضاري برسالة الطب كأداة للعلم والإحسان معًا، لا مجرد مهنة للتكسّب. وهذا ما كان من أمر أسرة " ابن صغير " وما كان من أحداث لأشهر أفراد أسرتهم. والله من وراء القصد.. وهو يهدي السبيل.

الخاتمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1]، وفي نهاية هذه الدراسة العلمية لأسرة طبية ودورها الحضاري فقد توصلت بحمد الله وفضله إلى بعض **النتائج** نذكر منها ما يلي:

أن عصر المماليك يعتبر عصر نهضة طبية من خلال اهتمام السلاطين بالطب والأطباء وتقريبهم لهم، وولوا بعضهم المناصب الهامة حتى وصل بعضهم إلى رياسة الطب، ومن الأسر التي برزت في ذلك العصر أسرة ابن صغير التي مثلت نموذجًا حيًّا لاستمرارية التقاليد الطبية الإسلامية عبر الأجيال، مما يجعل دراستها ذات قيمة لفهم البنية العلمية والاجتماعية في العصر المملوكي، وخاصة في ظل قلة الدراسات المتخصصة في هذا الجانب الدقيق من تاريخ الطب الإسلامي.

إن أسرة ابن صغير موضوع الدراسة أنجبت أطباء على قدر كبير من العلم والبراعة المهنية، وقد أثرى هؤلاء صناعة الطب في عصرهم، علاوة على ما قدموه من خدمات للحكام سلاطين المماليك وأمرائهم، وخدموا بطبهم كذلك عوام الناس.

وقد كشفت دراسة أسرة "ابن صغير" عن نموذج فريد في تاريخ الطب الإسلامي، يجمع بين التميز العلمي، والاستمرارية المؤسسية، والبعد الأخلاقي والإنساني في الممارسة الطبية، فمن خلال تتبّع تراجم أفراد الأسرة عبر ما يزيد على قرن ونصف من الزمان، برزت مجموعة من القيم والممارسات التي جعلت من هذه الأسرة مركزًا فعّالًا في النظام الصحي والثقافي والاجتماعي في العصر المملوكي.

لقد ظهرت الأسرة ككيان متكامل يقوم على التوارث العلمي، والتعليم الداخلي، والتعاون بين الأفراد، وبرز منها أطباء جمعوا بين المهارة العملية والبعد الروحي،

---

(١) سورة سبأ الآية رقم (١).

وأسسوا لأنماط من السلوك المهني الراقي، حيث راعوا ظروف المرضى المادية، وقدموا أعمالًا خيرية، وكانوا على صلة قوية بعلماء ومفكري زمانهم.

أكدت الدراسة أن أسرة ابن الصغير لم تقم شهرتها على الإنتاج التأليفي بقدر ما قامت على الكفاءة العملية والمكانة الاجتماعية، كما تبيّن من خلال هذه الدراسة أن الأسرة لم تكن مجرد مجموعة من الممارسين للطب، بل كانت مؤسسة طبية-أخلاقية عابرة للأجيال، أثّرت في إدارة الطب السلطاني، وأسهمت في تطوير الوعي الصحي، وعبّرت عن توازن فريد بين الخبرة والمروءة، وبين العلم والخدمة.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة، يمكن تقديم بعض التوصيات للباحثين في هذا المجال، من أبرزها:

- ضرورة توسيع دائرة البحث في الأسر الطبية الأخرى التي برزت في العصور الإسلامية المختلفة، للكشف عن الشبكات العلمية والاجتماعية التي ساهمت في تطور الطب الإسلامي.
- أهمية استثمار كتب التراجم والوفيات كمصادر أساسية في كتابة تاريخ الطب، لا سيما في ظل غياب السجلات الطبية الرسمية من العصر المملوكي.
- الدعوة إلى دراسة الأثر الاجتماعي والاقتصادي للأطباء، وليس الاقتصار فقط على مؤلفاتهم العلمية، لفهم مكانتهم داخل النسيج الحضاري الإسلامي.
- التوصية بعمل دراسات مقارنة بين أسرة ابن صغير وأسر طبية معاصرة لها في العالم الإسلامي، لتبيّن أوجه الشبه والاختلاف في البنية العلمية والإدارية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق:

جدول يوضح أفراد أسرة بن صغير الطبية

م	اسم الطبيب	تاريخ الوفاة ومكانها	أهم كتبه وأعماله	الوفاة في سلطنة
١	ناصر الدين محمد بن صغير	(٧٤٩هـ/١٣٤٨م)	طبيب السلطان والأمراء المقربين منه	السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
٢	الطبيب فرج الله بن صغير	—	خدم ضمن أطباء السلطان ابتدأ ككحال ثم طبيب عام ولم يقتصر طبه على السلطان والأمراء فقط بل اهتم بالعامة مع دقة تشخيص العلاج	السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
٣	علاء الدين علي بن صغير	(ت٧٩٦هـ/١٣٩٤م) حلب	• ترأس الطب في مصر • عالج السلطان بيازيد	السلطان الملك الظاهر برقوق
٤	الطبيب جمال الدين بن صغير	(توفي بعد عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م)	خدم ضمن أطباء السلطان وحاول علاج السلطان برقوق من الإسهال والقئ	السلطان الملك الظاهر برقوق
٥	عبد الرحمن بن صغيّر	توفي بعد عام (٨٠١هـ/١٣٩٨م)	تولى رئاسة الطب سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م	السلطان الملك الظاهر برقوق
٦	شمس الدين محمد بن صغيّر	(٨٢٣ هـ/١٤٢٠م)	مارس الطب، ومن آثاره: شرح الموجز في الطب لابن النفيس	السلطان المؤيد شيخ المحمودي
٧	الشمس أبو عبد الله بن صغير	(٨٣٩هـ/١٤٣٥م) القاهرة	عمل في بيمارستان القاهرة ألف كتاب الزبد في الطب	السلطان الملك الأشرف برسباي

٨	الكمال محمد بن صغير	(٨٩١ هـ/١٤٨٦م)	عمل في الطب وتخصص في كحالة العيون، وتولى منصب طبيب في تربة السلطان برقوق، وحصل على الاجازة العلمية .	السلطان الملك الأشرف قايتباي
٩	محمد بن محمد بن أحمد بن صغير	(توفي بعد ٨١٦هـ/١٤١٣م)	عمل طبيب وقام بمراجعة النصوص الطبية التي تعرض عليه	السلطان المؤيد شيخ المحمودي
١٠	عمر بن صغير	(توفي ٨٦٧ هـ/١٤٦٢م)	تولى رئاسة الطب	السلطان الملك الظاهر خشقدم

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

❖ أولًا: المصادر

- ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

١- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م،

- ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٩٦م)

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ط) ، (د.ت)

- ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت٩٢٩هـ/١٥٢٣م)

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٦ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- بيبرس الدوادار: ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الدوادار (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م)

٤- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالدس. ريتشارد، المعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٥- الجامع الكبير" سنن الترمذي"، ٦ أجزاء، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

- ابن تغري بردي: أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٧ أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م.

- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)

٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، عدد الأجزاء٦، دار العلم، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧م.

- ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٩- إنباء الغمر بأبناء العمر، ٤ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط٢، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١١- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٢- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار المعرفة، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن حجي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي الحسباني الدمشقي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)

١٣- تاريخ ابن حجي، جزءان، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ/٨٨٩م)

١٤- سنن أبو داود، تحقيق: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

١٥- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ٣ أجزاء، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦ أجزاء، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

١٧- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- ابن شاهين: عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين (ت٩٢٠هـ/١٥١٥م)

١٨- نيل الأمل في ذيل الدول، ٩ أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٩- الشجاعي: شمس الدين الشجاعي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)

٢٠- تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده. تحقيق وترجمة: بربارة شيفر، فرانزشتاينر، فيسبادن، ألمانيا، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢١- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

٢٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزءان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت.

- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

٢٣- أعيان العصر وأعوان النصر، ٥ أجزاء، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، ط١، دار الفكر، سورية، دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤- الوافي بالوفيات، ٢٩ جزء، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن عبد الظاهر(محيي الدين أبو الفضل عبدالله ، ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)

٢٥- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية بالقاهرة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مطبعة أوراق شرقية، القاهرة،١٤١٣هـ/١٩٩٦م

- ابن العماد: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١١ جزء، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- العمرى: شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م)

٢٧- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

٢٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٥ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- المقريزى: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٢٩- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ٤ أجزاء، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م.

٣٠- السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨ أجزاء، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣١- المقفى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- النعيمي: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٢٧هـ/١٥٢١م)

٣٣- الدارس في تاريخ المدارس، جزءان، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ابن النفيس:

٣٤- رسالة الأعضاء، دراسة وتحقيق: يوسف زيدان ، ط١، نشر الإدارة العامة للنشر ، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)

٣٥- نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣ جزء، ط١، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٣٦- معجم البلدان، ٧ أجزاء، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

❖ ثانياً: المراجع

- إبراهيم علي طرخان:

١-مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

- أحمد عيسى:

٢- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دمشق، (١٣٥٧هـ/١٩٣١م).

٣-معجم الأطباء، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

- أحمد مصطفى خليل:

٤-النهضة الطبية في مصر المملوكية (مصر وبلاد الشام والحجاز) ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م، ط١، نور حوران للدراسات والنشر، ٢٠٢٥.

- البيومي إسماعيل الشربيني :

٥-النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- ابن حُمَيْد:

٦- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- خالد حربي:

٧-الأسر العلمية ظاهرة فريده في الحضارة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٠م.

- داود سلمان:

٨- معالم الفكر العربي في التراث العربي، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي، (١٩٨٩م)

- زكي محمد حسن:

٩- مصر والحضارة الإسلامية، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.

- زيغريد هونكه:

١٠- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط١٠، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)

- سليم عبابنة:

١١- معجم أعلام الطب في التاريخ العربي الإسلامي، دار البيروني للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م

- سمير يحي الجمال:

١٢- الطب والصيدلة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

- شوقي ضيف:

١٣- تاريخ الأدب العربي، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠.

- عبد الدائم، عبد الله:

١٤- التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)

- ابن عثيمين:

١٥- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير:

١٦- الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، د.ت.

- مجموعة من المؤرخين:

١٧- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة، د.ت.

❖ **ثالثاً: الدوريات:**

- بسام إدريس الجبلي:

١- محاولة دراسة أسباب ظهور الأسر العلمية مع اشارات للأسر الموصلية القديمة، مجلة آداب الرافدين، مؤتمر كلية الآداب العلمي الثالث، العدد ٤٤/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- زيد علي الفضيل:

٢- الأسر العلمية في الجزيرة العربية بين سندان التاريخ ومطرقة العصر، مقال بجريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٧٢٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- زين خلف نواف، لمي فائق أحمد:

٣- الطب في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مجلد (١٠)،العدد (٣٤)، آيار ٢٠١٨م- شعبان ١٤٣٩هـ.

❖ **رابعاً: الرسائل العلمية**

- إبراهيم زعرور:

١- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- مروه موسى السيد سالم:

٢- الأُسر العلمية ببلاد الشام ومصر ودورها الحضاري خلال العصر المملوكي(بنو جماعة – والبُلقيني) نموذجاً(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٨م.